مسرحية الأمين والمأمون

للشاعر / عامر بحيرى

عرض وتحليل ونقد

الدكتور

عصمت محمد أحمد رضوان

مدرس الأدب والنقد فى الكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى قضى بين عباده بالإنصاف ، وأنعم على قريش بالإيلاف ، وجعل الإسلام موحدًا للعرب نابذًا للخلاف ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله السادة الأشراف ، صلاةً تحفظنا مما نخشى وتنجينا مما نخاف .

أما بعد

فإن الصراع بين الأمين والمأمون من الأحداث المهمة فى تاريخ الدولة العباسية ، بل فى التاريخ الإسلامى كله ، وقد وجد الأدباء منذ ذلك العصر إلى يومنا هذا فى تلك الأحداث مادة خصبة للقول والإبداع .

وتعد مسرحية " الأمين والمأمون " للشاعر / عامر بحيرى من أهم الأعمال الأدبية التى تعالج تلك المرحلة المهمة فى تاريخ الخلافة الإسلامية برؤية واعية ، وأسلوب سهل .

وقد جاءت المسرحية فى ثوب شعرى اتسم بحسن العرض ، ووضوح اللغة ، وسلامة العبارة ، مع مراعاة الحقيقة التاريخية والالتزام بها .

وسأحاول فى هذه الصفحات – بمشيئة الله تعالى – دراسة المسرحية دراسة تحليلية نقدية عن طريق عرض الأحداث وتحليلها مع ربطها بالواقع التاريخى ، ثم التعرض لأهم اللمحات النقدية التى تبدت من خلال دراسة المسرحية .

والله الموفق ، ومنه العون والسداد

الباحث

تمهيد

أضواء على الشاعر والمسرحية

أما الشاعر فهو : عامر محمد بحيرى ، ولد فى (قليوب) بمحافظة القليوبية سنة ١٩١٢ م ، وتدرج فى مراحل التعليم النظامى حتى تخرج فى كلية الآداب – جامعة القاهرة . عمل بعد تخرجه فى التدريس ، ثم فى وزارة الثقافة .

وقد بدأت رحلة (عامر) مع الشعر منذ وقت مبكر من حياته ، حيث كتب أول أعماله سنة ١٩٢٧ م (وهو ابن خمسة عشر عامًا) .

وقد أصدر ديوانه الأول (اليخت الذهبى) سنة ١٩٣٦ م ، ثم توالى بعد ذلك ظهور دواوينه الأخرى ومنها : فى عالم الملائكة ، عطر وبارود ، على رُبى الإلهام، ثورة الشعر ، تحت لواء العروبة ، قصائد إفريقية ، أزهار السلام ، الأزهار الجديدة ، فى طريق العودة ، مع مبادرة السلام ، شاطئ النهاية ، فى رياض النبوة .

كما ألَّف (عامر) عددًا من المسرحيات والملاحم الشعرية منها : خالد ابن الوليد ، الأمين والمأمون ، فى سبيل الوطن ، أمير الأنبياء ، إيزيس وأوزوريس ، هداة البشرية ، الطريق إلى النور ، الجلاء ، مصر المنتصرة .

وقد ترجم (عامر) شعرًا عددًا من مسرحيات (شكسبير) مثل : العاصفة ، تاجر البندقية ، حلم ليلة صيف ، روميو وجولييت ، مكبث ، يوليوس قيصر ، الملك لير ، عطيل ، أنطونيو وكليوباترا ، فينوس وأدونيس .

كما ترجم عن الأدب الإنجليزى : روائع الكنـــز الذهبى .

ومن مؤلفاته كذلك : الصدحات ، حصاد السنين ، مدائح الموتى ، فصول فى الأدب والنقد ، بالإضافة إلى عدد من المقالات المنشورة فى الصحف والمجلات .

وتعد أشعار (عامر) سجلاً للحياة الوطنية والاجتماعية والوجدانية التى عاشها الشاعر وشارك فيها مشاركة واضحة .

وتوفى عامر فى سنة ١٩٨٨ م [١] .

وأما المسرحية فعنوانها (الأمين والمأمون) وهى مسرحية شعرية تحكى الصراع بين الخليفتين العباسيين الأمين والمأمون ، وقد نظمها الشاعر سنة ١٩٥٧ م وتقع فى خمسة فصول .

وزمان الرواية خلافة الأمين والمأمون وتحديدًا ما بين عامى ١٩٧ – ٢١٦ هـ تقريبًا ومكانها مدينة (بغداد) ، ومدينة (مرو) بخراسان .

أما شخوص المسرحية فكثيرون منهم : الأمين ، والمأمون ، وإبراهيم ابن المهدى ، والحسن بن سهل ، وابن أبى خالد (وزيران للمأمون) ، وطاهر ابن الحسين ، وهرثمة (قائدان) ، والفضل بن الربيع (وزير المأمون) ، وقاضى بغداد وأبو الصقر (داعية لابن المهدى) ، وابن زياد (عين لطاهر بن الحسين) ، وإسحاق الموصلى (مغن مشهور) ، وأبو نواس ، وابن الضحاك (الشاعران) وزبيدة (أم الأمين) ، وأم الفضل (جدة بوران) ، وبوران (ابنة الحسن بن سهل وعروس

---

(١) انظر ترجمته فى : ديوان عامر ص ٥ – ٧ ، ص ٤٨٨ ، ٤٨٩ – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ م ، وشبكة المعلومات الدولية موقع :

المأمون) ، وحمدونة (بنت الرشيد) ، وحسين ، وأشجع (خادمان) ، بالإضـــافة إلى بعض الشخصيات الأخرى من خدم وحراس ومغنيات ووصيفات ونحو ذلك .

وقد نالت المسرحية جائزة التأليف المسرحى فى المسابقة الكبرى التى أقامتـــها وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٥٧ م برئاسة الدكتور / طه حسين ، وقد أقرها الشاعر الكبير / على أحمد باكثير [١] .

(١) راجع : ديوان عامر – الجزء الثانى : ملاحم ومسرحيات ص ١٥٥ ، ١٥٦ – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م .

• • **أحداث المسرحية (عرض وتحليل) :**

الفصل الأول من المسرحية

تدور أحداث هذا الفصل فى قصر الخلد مقر خلافة الأمين فى بغداد فى نحو سنة سبع وتسعين ومائة لأن هذه السنة هى التى حاصر فيها طاهر بن الحسين وهرثمة بغداد ، ووقع فيها السلب والنهب [(١)] .

وهذه الأحداث تذكرها أبيات هذا الفصل من نحو قول (عامر) على لسان أبى نواس الشاعر [(٢)] :

فما ملأ الطريقَ سوى كلاب ∴ وإن لبسوا بها ثوب الذئاب

رماهم طاهرٌ من كلِّ صوب ∴ لإجرام وسلب وانتهاب

وهذا الفصل يقع فى مشهد واحد ، لأن أحداثه لا تبرح بهو قصر الخلد ، لكن هذا المشهد الوحيد يضم عددًا من اللقطات المتتابعة :

فى اللقطة الأولى يبدو إبراهيم بن المهدى (عم الأمين والمأمون) ، وإسحق الموصلى (المغنى العباسى المشهور) يتحاوران فى أمور الطرب ثم فى شئون السياسة ، وهذا الحوار الذى أجراه الشاعر على لسانيهما يرمى من ورائه إلى عرض عدة أمور :

الأمر الأول : إظهار ما كان عليه ابن المهدى من مجون ولهو ، وهو سليل البيت العباسى ، وابن الخليفة المهدى ، بل هو الذى سيبايعه بعضهم بالخلافة فيما بعد.

---

(١) انظر : تاريخ أبى الفداء المسمى المختصر فى أخبار البشر – تأليف / عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب ١ / ٣٢٥ – تعليق / محمود ديّوب – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .

(٢) الديوان ٢ / ١٦١ .

تقول المسرحية [١] :

ابن المهدى : إسحقُ ، هذا العودُ ، لو علمتنى ∴ كيف التتابعُ ، والثقيل الأولُ ؟ [٢]

إسحق : مولاى ، عفوًا من أنا فى جنبكم ؟

ابن المهدى : ما ضرَّ لو أسمعتنى ؟

إسحق : أنت الأمير ، ونحن منــك رعيَّــةٌ لا أفعــلُ

بــــل أنــــت ، أنــــتَ الموصــــليّ المُفْضِــــلُ

فإبراهيم يطلب إلى إسحق أن يعلِّمَه طرفًا من ألوان الموسيقا ، والأخير يحــاول إفهامه – دون جدوى – أن هذا أمر لا يليق بالأمراء .

الأمر الثانى : الإبانة عن تطلُّع ابن المهدى إلى الخلافة ، ذلك التطلــع الــذى سيتحقق جانب منه فى خلافة المأمون . يقول الشاعر على لسان إسحق مخاطبًا إياه [٣] :

مــــولاى إبــــراهيم ، إنــــك سَــــيِّدٌ

عــــالى المكانــــة ، أريحــــىّ ، أمثــــلُ

مُشــــجى أمــــير المــــؤمنين ، وعَمُّــــهُ

ولــــك الخلافــــة دونَــــهُ لــــو يُعقــــلُ

لم يبــــق للعبــــاسِ مــــن أبنائــــهِ

أحــــدٌ ســــواك بهــــا أحــــق وأفضــــلُ

---

(١) الديوان ٢ / ١٥٧ .

(٢) هما من مصطلحات الموسيقا .

(٣) الديوان ٢ / ١٥٧ .

الأمر الثالث : عرض ما كانت تموج به الخلافة العباسية من فتن واضطرابات نتيجة ما يدبره المأمون لخلع أخيه الأمين وتنصيب نفسه أميرًا للمؤمنين ، والأمين سادر فى لهوه غير مكترث بما يحدث .

تقول المسرحية على لسان ابن المهدى [١] :

فهنـــــا بقصـــــر الخلـــــد تبصـــــرنى إذا
أُدعـــــى مـــــتى ضـــــمَّ الأمـــــينَ المحفَـــــلُ
وأخـــــوه فى (مـــــروٍ) يـــــدس لخلعـــــه
أعوانـــــــــه ، لكنـــــــــه لا يحفـــــــــلُ
الجنـــــد فى الطرقـــــات يرصـــــده ، وذا
بهـــــو الغنـــــاء بقصـــــره يتـــــهلَّلُ

وفى لقطة أخرى يدخل الخليفة (الأمين) على المتحادثين ويدير معهما حوارًا يعكس ما عليه حاله من غفلة ولهوٍ ومجون ، فنجده مثلاً يقول لهما [٢] :

مـــن هاهنـــا ؟ عمـــى هنـــا ؟ يـــا مرحبـــا
والموصـــــلىُّ لقـــــد وجـــــدنا المطربـــــا
اليـــــوم قصـــــرُ الخلـــــد شُـــــرِّف بهـــــوه
بـــــــالبلبلين مرجِّعًـــــــا ومشـــــــببا
فلنســـــــمون بليلـــــــةٍ ميمونـــــــةٍ
جمعـــــت أفـــــانين الصـــــبابة والصـــــبا

---

(١) الديوان ٢ / ١٥٨ .

(٢) السابق ٢ / ١٥٨ .

وهذه الحال التى كان عليها (الأمين) ينصُّ عليها المؤرخون ، فقد ذكروا أنه كان كثير اللهو واللعب ، منقطعًا إلى ذلك ، منشغلاً به عن تدبير مملكته ، حتى إنه كان لا يبالى أين قعد ، ولا مع من قعد ، وكان لو كان بينه وبين ندمائه حُجُب خرقها كلها وألقاها عن وجهه حتى يقعد حيث قعدوا ، وكان من أعطى خلق الله لذهب وفضة ، وأهبهم للأموال إذا طرب أو لَهَا [١] .

ويُجرى الشاعر الحوار بما يؤكد هذه الحقيقة التاريخية من انصراف الأمين عن تدبير شئون خلافته ، وانشغاله عن ذلك باللهو واللعب ، فعندما يدعو له عمه إبراهيم بالنصر وإخماد الفتنة قائلاً [٢] :

الله يا مولاى يحفظ ذاتكم

للمُلْك نضرًا والشباب محبَّبا

وينيلك النصر الذى أمَّلْتهُ

ويردّ كيد الكائدين مخيبا

يستنكر الخليفة اللاهى ذكر حديث الحرب فى هذه الساعة من ساعات الصفاء قائلاً [٣] :

يا عم ، مهلاً ، لا تعكر صفونا

بالله ؛ إنا ملتقون لنشربا

---

(١) انظر : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية – للدكتور / أحمد شلبى – الجزء الثالث : الخلافة العباسية ص ١٦٩ – مكتبة النهضة بالقاهرة ١٩٩٦ م .

(٢) الديوان ص ٢ / ١٥٨ .

(٣) السابق الصفحة نفسها .

واتـــــرك حـــــديث الحـــــرب ؛ إنَّ حـــــديثها

شـــــرٌّ ، وإن تـــــكُ بالبليـــــةِ مُعجبـــــا

ثم يُجرى الشاعر حديثًا جانبيًّا بين اثنين من ندماء الأمين (نكرات المسرحية) ، حيث يتساءل أحدهما عن ابن المهدى قائلاً [١] :

مـــن ذلـــك المَـــرِحُ الطَّـــروبُ حديثُـــهُ

فيجيبه الثانى : عَـــــمُّ الأمـــــين الأسمـــــرُ المتلطِّـــــفُ

هو للرشـــيد أخ ولكـــن أمـــه ∴ زنجيـــة

فيقول الأول : هـــذا الـــذى لا أعـــرفُ

وكثيرًا ما يلجأ الشاعر إلى هذا الصنيع من إجراء الحديث على لسان النكرات لتوضيح غامض ، أو التعريف بشخص ، أو نحو ذلك كما فعل عند التعريف بابن الضحاك ذلك الشاعر الظريف الذى عُرف بظرفه ومجونه وخلاعته حتى لُقِّب بالخليع ، حيث يقول فى حوار على لسان شخصين [٢] :

الأول : من هو الشاعر الذى قد سمعنا

الثانى : ذلك ابن الضحاك

الأول : ذاك الخليع

الثانى : والذى يرتجى لفرط سرور ∴ ودُعاب به يُسَرُّ الجميعُ

وفى لقطة من لقطات هذا المشهد يبدو لنا (أبو نواس) ، وهو يدخل مجلس الخليفة معتذرًا عن تأخيره ، فنسمع هذا الحوار [٣] :

---

(١) الديوان ٢ / ١٥٩ .

(٢) السابق ٢ / ١٦٠ .

(٣) السابق الصفحة نفسها .

أبو نواس : أميرَ الدهر ، صفحًا عن غيابى

فمن حق الطريق إذا مشينا ∴ بها لـــيلاً مصـــانعة الكـــلاب

الأمين : مصانعة الكلاب ؟

أبو نواس : أجل أميرى ∴ فقد رصدوا هنالك كل باب

وكلٌّ منهُم يبغى نقودًا ∴ ويُلحف [1] فى السؤال وفى الخطابِ

الأمين : كلابٌ منك قد طلبتْ نقودًا ؟ ∴ عجيب ! هل سمعتم يا صحابى ؟

إسحق : عجيبٌ ما يقول بهِ .

ابن المهدى : أميرى ∴ أظن حـــديثهُ بعضَ الدُّعابِ

أبو نواس : أراكَ وهمتَ يا مولاى ، إنى ∴ لأروى الصدقَ نُزِّه عن كِذابِ

فما ملأ الطريقَ سوى كلابٍ ∴ وإن لبسوا بهـــا ثوب الذئاب

رماهمْ طاهرٌ من كُلِّ صَوْبٍ ∴ لإجـــرامٍ وسلبٍ وانتهـــاب

الأمين : إلىَّ أبا نواس ، ودعـــك مما ∴ شهدتَ ، فـــذاك تهـــويلُ المنامِ

أبو نواس : أميرى إنهم سلبوا نقـــودى ∴ فما أقـــوى هناكَ على الكلامِ

الأمين : منحتُك ألف دينارٍ .

أبو نواس : أميرى ∴ سألت الله حفظك ألفَ عـــامِ

الأمين : تَخيَّر مجلسًا بالقـــرب مِنَّا ∴ لنحظى منك بالطُّرَف العظـــامِ

فالشاعر يريد أن يعرض من خلال هذا الحوار الموقف المتأزِّم فى بغداد ، وما نشره فيها قواد المأمون من الفوضى والسلْب والنهب ، وقد اتخذ الشاعر من حديث أبى نواس سبيله إلى هذا العرض ، فساقه فى أسلوب لا يخلو من الحسن والطرافة ،

---

(١) يلحف : يلح ويكثر السؤال .

ويتضح من الحوار عدم اكتراث الأمين بما يدور حوله ، فهو يطلب إلى أبى نواس ألا يحفل بما شاهد فلعله (تهويل المنام) ، لكن المهم عند الخليفة أن يأتيه الشاعر الهازل (بالطرف العظام) .

كما يتضح من الحوار – كذلك – عدم نصح المحيطين بالخليفة له ، فالحاضرون يسمعون عن هذه الأخطار ولا يتكلمون ، بل إن أبا نواس نفسه لم يَسُقْ ما ساقه إلا لتحقيق مصلحة شخصية له تتمثل فيما يلى :

أولاً : استجلاب إعجاب الحاضرين بمقدرته على الإلغاز وحسن التعبير فى حديثه عن الكلاب التى تطلب نقودًا ، وبعث حيرة الحاضرين فى تفسير ذلك .

ثانياً : الإتيان بعذر مقبول يبرر تأخيره عن مجلس الخليفة .

ثالثاً : ابتزاز أموال الخليفة وطلب تعويضه عمَّا سلبه طاهر وجنوده منه .

فأبو نواس ليس مخلصًا للخليفة شأنه فى ذلك شأن جميع حاشيته حتى إنه لما دعا للخليفة بطول العمر دعا له أن يعيش بعدد ما أعطاه من دنانير :

(منحتك ألف دينار ، أميرى ∴ سألت الله حفظك ألفَ عامِ)

ويتمادى الخليفة فى لهوه فى هذا الوقت العصيب ، فيأمر مغنيته (ضعف) بالغناء ، فتنشده قائلة [(١)] :

هم قتلوه كى يكونوا مكانَهُ ∴ كما قتلتْ كسرى قديمًا مرازبُهْ

وهو كلام أثار تشاؤم الخليفة ، وأثار حفيظته .

وعندما عادت للغناء غنت هذا البيت الذى لا يقل تشاؤمًا عن سابقه [(٢)] :

---

(١) الديوان ٢ / ١٦٣ .

(٢) السابق الصفحة نفسها .

كليبُ لعمرى كان أكثر ناصرًا ∴ وأيسر جرمًا منك ضُرِّج بالدَّمِ

وعندما غضب الأمين وزجرها خرجت مسرعة فكسرت كأسه الخاصة فازداد تَطَيُّره .

ثم يفد على مجلس الخلافة الفضل بن الربيع وزير المأمون ، ومعه قاضى بغداد للتشاور فى المحنة القائمة ، وفيما استجد من أمر خلع أمير الحرمين لبيعة الأمين ومبايعته للمأمون ، ويكون هذا الحوار [1] :

الأمين : الوزيرُ الفضلُ والقا ضى ، لقد شرَّفتمونا

الفضل : عشت منصورًا عزيزًا يا أمـــير المـــؤمنينا

الأمين : أيُّها الغلمان حيُّوا الضيف مـــاذا تشربـــونا ؟

القاضى : أشرابٌ لا معاذ اللهِ

الأمين : ماذا تطلبونا ؟

الفضل : سيدى ، يا طالما قلتُ ، فلم تسمع النصح ، ونُصحى لك دَينْ

إن داود بن عيسى خالعٌ

الأمين : من هوَ الكلبُ ؟

الفضل : أميرُ الحرمينْ

الأمين :أخذ البيعة للمأمون

الفضل : قد ∴ قيلَ هذا

الأمين : ومتى ذاك ؟ وأينْ ؟

الفضل : قام بالكعبة والناس بها ∴ لصلاةٍ سلفَت من جمعتينْ

---

(١) الديوان ٢ / ١٦٣ .

فرمى مولاى بالغَدْر ، كما ∴ أخذ الناس بشرّ البيعتينْ

الأمين : وإلى المأمون ولّى قاصدًا ∴ بات من مروٍ على مرحلتينْ

ويُبدى الوزير الفضل رأيه فى هذه المحنة ، فينصح الخليفة بعزل أخيه المأمون فى كلام يخلو من الحكمة . كما يبدو الأمين أكثر تهورًا فيرى أن العقوبة هنا هى القتل لا غيره :

الفضل : فاخلع المأمون . عجِّل خلعه

الأمين : إننى أبعث من يأتى برأسه !!! [١]

ويكون الرأى الحكيم من قاضى بغداد الذى يرى أن خلع المأمون ظلم بيِّن ، لكن هذا الرأى يبعث الحيرة فى نفس الأمين الذى رأى هذا الاختلاف فى الرأى وذاك التضارب فى النصح :

القاضى : إن خلع المأمون ظلمٌ وغدرٌ

الأمين : لم يَعُدْ ما تقول فى إمكانى

والعجيبُ العجُابُ أنكما قد ∴ جئتما فى الرأى تختلفانِ

أنا فى كربةٍ وضيقٍ شديدٍ ∴ فاذهبا الآن . اذهبا . خليانى [٢]

وعندما يخرج الوزير والقاضى ، وينفضُّ السامر فيما عدا الخليفة وعمّه إبراهيم ، يشكو الخليفة إلى عمه ما هو فيه من حزن وغمّ ، ويخبره أن التطيُّر قد مَلَكَ عليه نفسه ، فقد سمع من المغنية كلامًا يدعو إلى التشاؤم ، كما زاد من هذا التشاؤم فى نفسه تحطُّم كأسه ، وما سمعه من هاتف ينادى ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الَذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [٣] .

---

(١) الديوان ٢ / ١٦٤ .

(٢) السابق الصفحة نفسها .

(٣) من الآية (٤١) – سورة يوسف .

يقول (عامر) [١] :

الأمين : هَزَّت الطَّيَرة نفسى ∴ أنشدت (ضعفٌ) ؟ وما الكاس الحطيم ؟

استمع يا عم

ابن المهدى : ماذا

الأمين : استمع ∴ هاتف الليل .

ابن المهدى : بل الليل الهزيم .

ويحاول ابن المهدى تهدئة ابن أخيه ، فيدعوه إلى النوم الذى يلتمس فيه الراحة والأمان :

يا أميرى قد شكت (م) مما سهرتَ المقلتان

فالتمس فى النوم شيئًا ∴ من سلامٍ وأمانْ [٢]

* * *

(١) الديوان ٢ / ١٦٥ .

(٢) الديوان ٢ / ١٦٦ .

الفصل الثانى من المسرحية

تدور أحداث هذا الفصل فى مدينة بغداد فى سنة ثمان وتسعين ومائة ، لأن من أحداث هذا الفصل قتل الخليفة الأمين ، ومن الثابت تاريخيًّا أنه قتل فى هذه السنة [١] .

ويقع هذا الفصل فى ثلاثة مناظر :

أما المنظر الأول فيحكى حوارًا دار بين هرثمة وطاهر بن الحسين (من قواد المأمون) حول مصير الخليفة الأمين بعد أن غُلب على أمره حتى ذهب إلى (هرثمة) يطلب منه الأمان فأعطاه إياه .

لكن طاهرًا المعروف بحدته وعنفه لا يعترف بهذا الأمان ، ويريد أن يظفر بالخليفة المخلوع ليكون له وحده أمر التصرُّف فيه . تقول المسرحية [٢] :

طاهر : ماذا تقول ؟ كفاك هرثمة اتَّئِدْ

هرثمة : ما الخطب ؟

طاهر : إن السيل قد بلغ الزُّبَى [٣]

أفأبذل الجهد الكبير لأخذه ∴ وتفوز أنتَ به لتبلغ مأربا ؟!

هرثمة : إن الأمين سعى إلىَّ ، ولم أكن ∴ لأرد مسعـــاه الغداة مخيَّبا

يرجو الأمان لدىَّ كيف أرده

طاهر : وأنا الذى دهم الحمى وتغلبا

---

(١) انظر : تاريخ أبى الفداء ١ / ٣٢٦ .

(٢) الديوان ٢ / ١٦٧ .

(٣) الزُّبى : جمع زُبية وهى حفرة تُحفر للأسد إذا أُريد صيده ، والمثل يُضرب لما جاوز الحد . (انظر : مجمع الأمثال للميدانى ١ / ١٥٨ – تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم – طبعة دار الجيل – بيروت – لبنان – دون إشارة إلى تاريخ الطبع) .

هرثمة : لا أترك الصَّيد الذى أدركته ∴ لسواى . تلك هى الجهالة والغبا
كلا

طاهر : كفى خِدَعًا ، كفى ، فإلى متى ∴ تخفى لتلهو بالأمور وتلعبا ؟
أعطيته منك الأمان ، فإن دهى ∴ خطبٌ سعيتَ إلى أخيه مُقَرَّبا

وفى اثناء هذا الحوار المحتدم يدخل قاضى بغداد فيرتضيه الطرفان حكمًا بينهما فيما نشأ من خلاف :

طاهر : قاضى القضاة اليومَ يفصل بيننا ∴ إن شئت هرثمة البيان المحكما
هرثمة : فليحكم القاضى ، ليحكم بيننا ∴ بالعدل أنْ كان التقى المسلما

إن حضور القاضى فى هذا الوقت العصيب إلى من عادوا الخليفة وخرجوا على الدولة لأمر يدعو إلى العجب ، ولا تفسير له إلا أن القاضى جاء لينقذ نفسه ويعلن الولاء لأعداء الخليفة الذى كان بالأمس القريب يدين له بالطاعة ويُظهر له النصيحة .

ويحاول (عامر) أن يثبت هذا الموقف ، فيُجرى هذا الحوار على لسان اثنين من نكرات المسرحية [١] :

الأول : قاضى القضاة سعى لينقذ نفسه
من قبل أن يلقى القضاء المبرما

الثانى : بالأمس أقسم بالولاء لسيد
ما ضرَّهُ لو برَّ فيما أقسما ؟

---

(١) الديوان ٢ / ١٦٨ .

الأول : يـــا صـــاح لا تـــك بالحقـــائق جـــاهلاً

آن الأوان لجاهـــــــــــــلٍ أن يعلمـــــــــــــا

مهمـــــا نجـــــدهم مُـــــؤثرين فـــــإنهم

لـــــــيرون حـــــــق الـــــــنفس أن تتقـــــــدما

ويبدأ القاضى حديثه بعبارات لا تسلم من المداهنة والنفاق ، حيث يدعو بالنصر لأعداء الخليفة :

يـــا مرحبًـــا بالقائـــدين ظفرتمـــا ∴ وبلغتما النصـــر المـــبين ، ونلتمـــا [١]

وعندما يعرضان عليه قضيتهما يعرض حلاً ينم عن حيلة ودهاء ، ومحاولة لكسب رضا الطرفين :

القائـــدان الأغلبـــان كلاكمـــا ∴ أخذ الفريســـة وهـــو ليـــثٌ كاســـرُ

والحق فى المخلـــوع أصـــبح قســـمةً ∴ بالعدل بينكمـــا كمـــا هـــو ظـــاهرُ

فتقاسمـــــاه إذًا يســـــير بجســـــمه ∴ للقاء (هرثمـــة) كمـــا هـــو ســـائرُ

ويفـــوز منـــه بـــبرده وقضـــيبه ∴ وبخاتم المُلْك المرصَّـــع (طـــاهر) [٢]

لقد حكم القاضى أن يسير (هرثمة) بالأمين إلى أخيه المأمون ، بينما يظفر (طاهر) ببرد الأمين وقضيبه وخاتم ملكه .

وقد رأى (طاهر) أن هذه قسمة ضيزى ؛ فهو لا يقنع بالبرد والقضيب والخاتم ، بل يريد أن يكون الأمين من نصيبه يفعل به ما يشاء ، ولكنه اضطر إلى قبول حكم القاضى ؛ لأنه ألزم نفسه بقبول حكمه منذ البداية .

---

(١) الديوان ٢ / ١٦٨ .

(٢) السابق ٢ / ١٦٩ .

لكن (ابن زياد) أحد عيون (طاهر) ينجح فى إقناع صاحبه أنه قد خُدع ، وأن هرثمة لن يلتزم بهذه القسمة ، فما كان من طاهر إلا أن أقسم على أن يقتل الأمين :

طاهر : لقد اكتفيتُ بذاك

ابن زياد : قد يكفى إذا ∴ أُعطيتهُ

طاهر : ماذا ؟

ابن زياد : غريمك غادرُ

فى الليـــل إن أرخـــى الظـــلام ســـدوله

والليـــــل للشـــــركاء ظـــــلٌ ســـــائر

يمضـــــى إليـــــه بجســـــمه وبـــــبرده

وقضـــــــيبه كـــــــلٌ إليـــــــه صـــــــائر

طاهر : وإذًا تُرانى قد خُدعتُ

ابن زياد : بلى

طاهر : إذًا ∴ فالويل للبؤساءِ

ابن زياد : سيفُكَ قَاهِرُ

طـــاهر : الويـــل لى والمـــوتُ إن لم أنتـــزعْ

رأس الأمـــين ليعلمـــوا : مـــن طـــاهرُ ؟ !

والمنظر الثانى من هذا الفصل يحكى اللحظات الأخيرة للخليفة الأمين فى قصر الخلد مقر الخلافة ببغداد قبل أن يخرج منه هاربًا .

لقد كانت لحظاتٍ عصيبةً على نفس الخليفة المخلوع أن يترك قصره الذى شهد أوقات صفوه وسروره ، والذى كان أشبه بلوحات جميلة تجتمع فيها المعازف والجوارى ، والزهور وكئوس الشراب ، ولكن سرعان ما انفض السامر ، وذهبت الملذات تاركة الخليفة المترف أسيرًا لأعدائه الذين لا يدرى ما هم فاعلون به ، وأصبح يواجه مصيرًا لا يعلمه إلا الله (سبحانه) . يقول الشاعر على لسان الخليفة البائس [١] :

آن لى الآن أن أودع قصـــــــــرًا ∴ كـــان للـــنفس لـــذةً ومتاعـــا

مُـــدَّ فى بهـــوه بســـاط ســـرورى ∴ وأضـــاءت بـــه الكئـــوس شـــعاعا

وتلاقـــى علـــى النشـــيد النـــدامى ∴ فى حمـــى الـــورد يعقـــدون اجتماعـــا

الصـــبا والقيـــان والزهـــر والخمـــر م رســـوم تمـــر فيـــه تباعـــا

ســـامر لم تطـــل عليـــه الليـــالى ∴ بـــل تقاصـــرن وانتـــهين ســـراعا

وخداع الأسماء يتـــرك قصـــر الخلـــد م ركنًـــا مُقَوَّضًـــا يتـــداعى

أيهـــا القصـــر ، آن عنـــك رحيلـــى ∴ فوداعًـــا يـــا قصـــر ثم وداعـــا

والأبيات – إلى جانب كونها تعكس النفسيَّة المتأزمة للخليفة المخلوع – تعكس – كذلك – المقدرة الفنية للشاعر المصوِّر الذى لم تثنه حدود الشكل المسرحى ، ولا قواعد الحوار والسرد عن إبداع مثل هذه الصور الرائعة .

وفى هذا المنظر تظهر (زبيدة) أم الأمين للمرة الأولى لتقوم بدورها فى الوقوف إلى جانب ابنها فى هذا الوقت الحرج ، فتُهدِّئ من روعه وتدعوه إلى الصبر والثبات :

---

(١) الديوان ٢ / ١٧١ .

زبيدة : أى بُنيَّ الأمين ،

الأمين : أماه

زبيدة : لا تجـزع لشيء من حـادثات الليالى

وامنـع العـين أن تفـيض دموعًـا ∴ ليس سـفح الـدموع شـأن الرجـال

وتلـقَّ الخطـوب جَلْـدًا صـبورًا ∴ إنمـا الصـبرُ شـيمةُ الأبطـال [١]

وعندما يشكو الأمين إلى أمه صنيع أخيه تُذكِّره بأن المأمون – وإن اختلف معه فى الرأى والموقف – فله خصال حميدة ، وإذا كان أخًا غير شقيق له [٢] فإنهما من أبٍ واحدٍ ، بل إنها بمنـزلة الأم للمأمون تُنهله من محبتها وحنانها :

الأمين : كيف صبرى على مخادعة المأمون ؟

زبيدة : ذاك الأخ الكريم الخصالِ

الأمين : كيف يا أمّ ؟ إنما أنا حرٌّ ∴ قرشيٌّ وذاك نسـل الموالى

زبيدة : أنتما من صباكما توءمان ∴ فـى أبٍ يا بـنيَّ تلتقيان

إنه ابنى وإنك ابنى سواء ∴ أنتمـا مـن محبتى تنهلان

قلت بالأمس لابن ماهان إذ سار له فى المشـاةِ والفرسـانِ

إن يكن لابنى الأمين حنانى ∴ فأخـوهُ يُصيب ذات الحنانِ

مَلِك ، بل أخ ينافس بالحق أخاه فى التاج والصـولجـانِ

---

(١) الديوان ٢ / ١٧١ .

(٢) كان الأمين من زبيدة امرأة الرشيد ، والمأمون من أم ولد اسمها مراجل . (انظر : تاريخ أبى الفداء ١ / ٣٢٣) .

لكن هذا الموقف المتساهل من جانب زبيدة لا يتفق مع ما ورد من حقائق التاريخ ؛ إذ يذكر المؤرخون أنها كانت شديدة الحب والإيثار لابنها الأمين حتى ذكر السيوطى أن الرشيد بايع الأمين لحرص أمه زبيدة على ذلك [١] .

كما تذكر روايات التاريخ أن الرشيد كان شديد الحب لزوجه زبيدة ، حتى إنها كانت تَعْدِل الخلافة عنده ، وأنها لما عرض الهادى على الرشيد أن يُقطعه إقطاعًا كبيرًا على أن يخلع نفسه من ولاية العهد قَبِل ذلك العرض ، وقال : إذا خلوتُ بابنة عمى (يعنى زبيدة) فما أريد شيئًا [٢] .

وهذا يؤيد أن الرشيد استجاب لرغبة زبيدة فى تولية الأمين .

كما تذكر الروايات كذلك أنها كانت كثيرة التحيز لابنها الأمين ، فيذكر المسعودى أنها دخلت على الرشيد يومًا فقالت له : ما أنصفت ابنك محمدًا (الأمين) حيث وليته العراق ، وعريته من الجند والقواد .... [٣] .

فهذا وغيره مما يؤيد أن ما ذكرتْه المسرحية من تساهل زبيدة مع المأمون على حساب ابنها الأمين أمر غير ثابت تاريخيًّا .

وتمضى المسرحية فى تصوير الموقف المتأزم للأمين ، حيث جاءه رسول (هرثمة) يطلب إليه ألاَّ يخرج من قصره لأن جنود (طاهر) منتشرون فى كل مكان ، وهرثمة يخشى عليه منهم ، لكن الخليفة المحاصَر يصر على خروجه ، فقد انفض من حوله الجنود والأصدقاء ، وهو لا يأمن على نفسه إن انتظر فى قصره حتى إلى المساء :

---

(١) انظر : تاريخ الخلفاء ص ١١٣ – طبعة القاهرة ١٣٥٠ هـ .

(٢) راجع : موسوعة التاريخ الإسلامى ٣ / ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٣) انظر : مروج الذهب ومعادن الجوهر ٢ / ٢٣٧ – المطبعة البهية ١٣٤٦ هـ .

رسول هرثمة : سيدى يا أمير يسألك التأصيل ، لا تأته نزول المساء

الأمين : ولماذا ؟

الرسول : رأى على الشط أمرًا ∴ رابه ، فالجنود ملء الفضاءِ

الأمين : جند من ؟

الرسول : جند طاهر دائم الأرصاد مستكثر من الرقباءِ

وهو يخشى عليك من ذاك إنى ∴ ضقت ذرعًا هنا بطول بقائى

قل له : إننى سأخرج توًّا ∴ وسآتيه دونما إبطاء

غادر الجند ساحتى والموالى ∴ وجفانى الثقاة من خلصائى

وخلا القصْر من رجالى فلا ∴ آمن بالليل سطوةً الجبناء

امض ، اسرعْ إليه ، ولينتظرنى ∴ اسقنى يا غلام شربة ماء [1]

يطلب الأمين من غلامه شربة ماء لتبلَّ من ظمئه ، لكن المفاجأة أن القصر قد خلا من الماء ، وهنا يدرك الأمين أن الأمر قد بلغ غايته ، مما يبعث فى نفسه الحسرة على الملك الضائع ، ويقوى عزمه على الرحيل المرتقب :

الخادم : سيدى ، لم يعد هنالك ماء ∴

زبيدة : ليس فى القصر كله كوب ماء ؟

الأمين : عاد قصرى لا يورد الظامئ الماء وقد كان مورد الندماء

عاد قصرى لا يمنح الماء صرفًا ∴ وهو بالأمس مانح الصهباء

فوداعًا للقصر والساكنيه ∴ ووداعًا للأهل والأصدقاء

---

(١) الديوان ٢ / ١٧٢ ، ١٧٣ .

أقبلـــوا ، إننى تـــهيأت للســـير ، وأعـــددت عـــدتى للقـــــاءِ [١] .

أما المنظر الثالث فيحكى اللحظات الأخيرة فى حياة الخليفة الأمين بعد أن قبض عليه جنود (طاهر) عند خروجه وألقوا به فى السجن ، وعندها أيقن أن نهايته قد حانت . تقول المسرحية [٢] :

الجندى : ادخل ، أقم ها هنا ، ستبقى ∴ إلى غدٍ ها هنا رهينًا

فإن تحاول منها فرارًا ∴ لقيت من فورك المنونا

الأمين (لنفسه) : يا نفسُ ، صبرًا على البلايا ∴ فما عهدناكِ تجزعينا

سينتهى الأمر بعد حينٍ ∴ إنا إلى الله راجعونا

ويلتقى الأمين فى سجنه مع سجين يُدعى أبا الصقر (الذى سيكون داعية لابن المهدى فيما بعد) ، ويحاول الأمين أن يجد لدى أبى الصقر هذا أمانًا لنفسه الخائفة ، وراحة لفكره المضطرب ، ويدور بينهما هذا الحوار [٣] :

الأمين : قل لى أبا الصقر :

أبو الصقر : سل أميرى ∴

الأمين : ماذا تراهم سيفعلونا

أُعطيتُ عهد الأمان منهم

أبو الصقر : إنى أراهم لا يغدرونا

الأمين : وأنت ماذا دهاك ؟

---

(١) الديوان ٢ / ١٧٣ .

(٢) السابق ٢ / ١٧٤ .

(٣) السابق ٢ / ١٧٥ .

أبو الصقر : باتوا ∴ طرًا على الناس يقبضونا

ثم تحين لحظة القتل ، ويدخل أربعة من الأعجام [١] معهم السيوف ، فيحس الأمين أنه مقتول لا محالة ، فيصرخ قائلاً [٢] :

ذهبتْ – والله – نفسى ∴ وانقضى الليلة عيشى

ليس فى الأعجام إلا ∴ من له صورةُ وحش

أين أنصارى وجندى ؟ ∴ أين أعلامى وجيشى

كلُّ سيفٍ سيدقُّ الآن مسمارًا بنعشى

وينتقل المشهد إلى الشارع البغدادى فى محاولة من الشاعر لعرض موقف الرعية إزاء مقتل الأمين ، ويبدو فى المشهد الشاعر (ابن الضحاك) يرثى الأمين رثاءً حارًّا فيقول [٣] :

أعينىَّ جودا وابكيا لى محمدًا ∴ ولا تذخرا دمعًا عليه وأسعدا

فلا تَّمت الأشياء بعد محمد ∴ ولا زال شمل الملك فيه مبدَّدا

ولا فرحَ المأمونُ بالملك بعده ∴ ولا زال فى الدنيا طريدًا مُشرَّدا

---

(١) تذكر كتب التاريخ أن طاهرًا أرسل إلى الأمين قومًا من العجم فقتلوه وأخذوا رأسه ومضوا به إليه . (انظر : تاريخ أبى الفداء ١ / ٣٢٦) .

(٢) الديوان ٢ / ١٧٥ .

(٣) السابق ٢ / ١٦٧ .

كما يبدو فى المشهد – كذلك – أبو الصقر الذى فرَّ من السجن بعد مقتل الأمين وسار فى شوارع بغداد يرثى الأمين ، ويؤلِّب الجماهير ضد المأمون ، ويخطب فى الجموع قائلاً [١] :

أتيت إليكم جند بغداد راثيًا ∴ فما جئت مدفوعًا ، ولا جئت مرشدا

أتيتكم أرثى أميرًا أحبكم ∴ أتيتكم أرثى الأمين محمدا

وقالوا : أَحبَّ اللهو ، لا بل مُمَلَّكٌ ∴ أَحَبَّ العُلا والمجد حرًّا مُسَوَّدا

وقالوا : غواه الملك ، هل تعلمونه ∴ تنازل للمأمون أمس وأشهدا

ثم يحرض أبو الصقر أهل بغداد على خلع المأمون ومبايعة إبراهيم بن المهدى ؛ لأنه فى نظره أحق بالخلافة إذ هو صاحب حق لا كالمأمون الذى غدر بأخيه ، ثم إنه كريم يعطى رعيته العطاء الجزيل ، فتجد دعوته هذه قبولاً من بعض أهل بغداد .

تقول المسرحية على لسان أبى الصقر [٢] :

فلا تقبلوا المأمون من بعد غدره ∴ ولا تنصروا إلا الأمير الممجدا

فما هو إلا صاحب الحق كله ∴ ومن يهب الآلاف درًا وعسجدا

الأول : عليكم بهذا

الثانى : صاحب الحق كلِّه

الثالث : ومن يهب الآلاف درًا وعسجدا

الأول : ذكرتَ فصرح ، قل لنا من أميرنا ؟

---

(١) الديوان ٢ / ١٧٧ .

(٢) السابق ٢ / ١٧٧ ، ١٧٨ .

نظر نحوه

الثانى : ننصره

الثالث : نحــن لـــه الفـــدا

أبو الصقر : أميركم المهدى [١] يـا قـوم فاقصـدوا
إليـــه تـــروا عـــزًّا ومجـــدًا وســـؤددا

وهـــا هـــو ذا فى القصـــر يبـــدأ حكمـــه
ليملأهـــا عـــدلاً ورأيًـــا مســـددا

بلـــى ، إنـــه المهـــدى عـــم الـــذى قضـــى [٢]
وللعـــم أولى مـــن أخٍ غـــدرُه بـــدا

فمـــن يتـــرك المهـــدىَّ ضـــل ســـبيله
ومـــن يقصـــد المهـــدى فى قصـــره اهتـــدى

الأول : إليـــه ، إلى المهـــدى ، عـــاش أميرنـــا

الثانى : لـــيحيى أمـــير المـــؤمنين مؤيـــدا

* * *

(١) يقصد ابنه إبراهيم لأنه هو الذى بويع فى عصر المأمون ، ولأن المهدى توفى سنة ١٦٩ هـ أى قبل نحو ثلاثين سنة .

(٢) قضى : مات .

الفصل الثالث من المسرحية

تدور أحداث هذا الفصل بين سنة ثمان وتسعين ومائة (وهى السنة التى قُتل فيها الأمين ، وحُمل رأسه إلى المأمون) [١] ، وسنة اثنتين ومائتين وهى السنة التى سار فيها المأمون من مرو إلى العراق [٢] .

ويقع هذا الفصل فى ثلاثة مناظر :

فالمنظر الأول تدور أحداثه فى مجلس المأمون بمدينة (مرو) حيث يَقْدُم عليه وفد طاهر بن الحسين يقدمه قائده (ابن زياد) ومعهم الهدايا وفيها رأس الأمين . تقول المسرحية على لسان ابن زياد [٣] :

مـــولاى عشـــت عزيـــزًا ∴ علـــى مـــدى الأزمـــان

ونلـــت نصـــرًا كريمـــا ∴ علـــى قـــوى العـــدوان

الله حقـــق فضـــلاً ∴ علـــى يـــديك الأمـــانى

وطـــاهر بـــن حســـين ∴ يوليـــك أسمـــى مكـــان

ونحـــن وفـــد الهـــدايا ∴ والغاليـــات الحســـان

بخـــالص التـــبر جئنـــا ∴ والـــدر ، والمرجـــان

فيقول المأمون مرحِّبًا [٤] :

يـــا مرحبًـــا بضـــيوف ∴ هـــم أكـــرم الضـــيفان

---

(١) انظر : تاريخ أبى الفداء ١ / ٣٢٦ .

(٢) السابق ١ / ٣٣٠ .

(٣) الديوان ٢ / ١٨١ .

(٤) السابق الصفحة نفسها .

جـــــاءوا لنـــــا بالهـــــدايا ∴ تضـــــم أسمـــــى المعـــــانى

بلغـــــت يـــــا ابـــــن زيـــــاد ∴ نهايـــــــــة الشـــــــــكران

وطـــــاهر بـــــن حســـــين ∴ ذو الفضـــــــل والإحســـــــان

مـــــاذا تضـــــم الهـــــدايا ∴ ومـــــا الـــــذى فى الصِّـــــوان ؟ (١)

ويظلّ (ابن زياد) يعدد له الهدايا إلى أن يصل إلى صينية من الذهب فيها رأس الأمين ، فيخاطب نفسه وهو فزع ، ويقول (٢) :

رأس الأمـــين أخـــى ! يـــا ســـوءَ مـــا صـــنعوا

بـــــه وبى ، إن هـــــذا شَـــــرٌّ إهـــــداءِ

قـــــد أســـــخطونى بأشـــــقى منظـــــرٍ بشـــــعٍ

مـــــن حيـــــث قـــــد حـــــاولوا ودى وإرضـــــائى

مـــــا ضـــــر لـــــو تركـــــوه فى مباذلـــــه

فى روضـــــة مـــــن ريـــــاض اللـــــهو غنَّـــــاءِ

أخ علـــــى بعـــــده قـــــد كـــــان يجمعنـــــا

عهـــــد الـــــولاء وأحـــــلام الأشـــــقاءِ

أب كـــــريم رأى تقســـــيم دولتـــــه

فخـــــصَّ أولاده منـــــها بـــــأجزاءِ

مـــــاذا أريـــــد أأحـــــوى الملـــــك مجتمعًـــــا

---

(١) الصِّوان : ما يُصان فيه الشيء النفيس .

(٢) الديوان ٢ / ١٨٢ .

وأنـــت فى القـــبر مُلقًـــى بـــين أشـــلاءِ ؟ !

مـــا أنصـــف القائـــد المغـــرور [١] حـــين مشـــى

إليـــــك بالســـــيف فى عـــــزمٍ وإمضـــــاءِ

هـــــلا استشـــــار فكنـــــتُ اليـــــوم ناصـــــحه

بمـــــا أخصـــــك مـــــن صـــــفحٍ وإغضـــــاءِ

فكأن المأمون ندم على ما حدث لأخيه ، ولكن لات ساعة مندم .

وفى المنظر الثانى يجتمع المأمون بوزيره (ابن أبى خالد) فى المكان نفسه بمرو وبحضور خادمه حُسين ، فيشكو المأمون إلى وزيره غَدْر قائديه (طاهر) و (هرثمة) ، فالأول قتل أخاه الأمين دون إذن منه وأرسل رأسه فى الهدايا ، والآخر خالف أمره له بمسيره إلى الشام . تقول المسرحية على لسان المأمون [٢] :

ولكـــن أترضـــى أبـــا خالـــد ∴ مقـــامى بمـــرو حليـــف الهـــوانْ ؟

وقتـــل أخـــى بيـــد الغـــادرين ∴ فمـــا اقتـــرف الإثم إلا جبـــانْ

كتبـــت لهرثمـــة أن يســـير ∴ إلى الشـــام لكـــن عصـــانى وخـــانْ

وكلمـــنى الفضـــل فى غـــدره ∴ فكيـــف ينـــال لـــدىَّ الأمـــانْ ؟

وطـــاهر مـــا زال فى زهـــوه ∴ يُزَجِّـــى البنـــود [٣] علـــى النـــهروانْ

ويبعـــث لى مـــع أصـــحابه ∴ بـــرأس أخـــى فى الهـــدايا الحســـانْ

---

(١) يريد طاهر بن الحسين .

(٢) الديوان ٢ / ١٨٤ .

(٣) البنود : جمع بَنْد وهو العَلَم الكبير .

ثم يسأل المأمون وزيره عن أخبار بغداد ، فيخبره عمَّا تموج به من فتن واضطرابات بعد مقتل الأمين ، فقد كثرت الشائعات عن الخليفة ، ونقم الشعب على وزيره الفضل بن سهل :

الأمين : وبغداد ماذا بها ؟ إننى ∴ لأجهل ذلك

ابن أبى خالد : شر الأمورْ

المأمون : وماذا هناك ؟

ابن أبى خالد : هناك اضطـــراب ∴ وثورةُ شعـــبٍ وخطـــبٌ كبـــيرْ

فقتل الأمين أهاج الورى ∴ عليك أميرى ، وهَـــزَّ الشعـــورْ

وقـــالوا : تشعوذ فى قصـــره ، وقـــالوا : دهاهُ جنونٌ خطـــيرْ

وقد نقم الثائرون عليك ∴ مكان الرضى ، ومقـــام الوزيرْ

المأمون : مقامك ؟

ابن أبى خالد : لا بل مقام ابن سهلٍ ∴ فسلطانه اليومَ ملء الثغورْ

المأمون : عن الفضل جئتَ تسوقُ الحديث ؟

ابن أبى خالد : بلى

المأمون : عجبًا ، ذاك قولٌ مثيرْ

ففضل بن سهل وزيرى القريبُ ، وهذا أخـــوه [١] لدىَّ المشيرْ

ابن أبى خالد : يا أميرى خانك الفضل فلا ∴ تركن اليوم لعهد الخائنينْ

وهو لا يصدقك النصح كما ∴ هو بالأنباءِ إن جاءت ضنينْ [٢] .

---

(١) يقصد الحسن بن سهل .

(٢) الديوان ٢ / ١٨٥ .

ثم يطلب الوزير إلى الخليفة أن ينـــزل بغداد قمعًا للفتنة ، ودفعًا للشائعات ، وردعًا لعمه إبراهيم بن المهدى الذى بايعه بعض أهل بغداد بالخلافة :

ابن أبى خالد : لِمَ لا تنـــزلُ بغداد ؟ ألم ∴ تكُ بغـــدادُ مقر الحاكمينْ ؟

وحديث الناسِ فيها كلّـــه ∴ أن مـــولاى بمنفـــاه سجينْ

المأمون : عجبًا !

ابن أبى خالد : أدهـــى وأنكـــى أنهـــا ∴ قـــد خلـــت ساحتها للمغرضينْ

أعلن المهدىُّ فيهـــا نفســـه ∴ حاكمًا يُدعَى له بعـــد الأمـــينْ

المأمون : ما الذى قلتَ ؟ أَعَمِّى ؟ ويحه ∴ هو أيضـــًا ثائـــر كالثائـــرينْ ؟!

ابن أبى خالد : إن بغداد عليه اجتمعت ∴ يا أميرى ، وتلاقت منذ حـــينْ

ومضـــى ينثر فيهـــا ذهبًا ∴ بشمـــال ، ووعـــودًا بيمينْ

سمع الناس له ، وانطلقوا ∴ باسمه فى كلِّ صوبٍ يهتفونْ [١] .

ويتدخل (حسين) بدوره ليقترح حلاًّ لمشكلة (الفضل بن سهل) ، فيشير على المأمون بحيلةٍ للتخلص منه وهو أن يجمع له العبيد من كل جنس فيقتلونه فى ساحة منـــزله ، وهذا الرأى قد أوقع فى نفس الخليفة الخوف من العاقبة وإن وقع عنده موقع الإعجاب :

المأمون : حسين ،

حسين : أميرى

المأمون : سمعت الحديث ؟

حسين : سأكفيكه اليوم فاتركه لى

---

(١) الديوان ٢ / ١٨٦ .

المأمون : ومن ذاك ؟ من هو ؟

حسين : فضل بن سهل ∴

المأمون : لك الويل أبطئ ولا تعجلِ

فهذا الوزير عظيم الدهاء ∴

حسين : سأكفيكه

المأمون : كيف ؟

حسين : لا تسألِ

أسوق العبيد من الـديلمى ∴ إلى الصـقلبى مـع الصـيقل [١]

ورومِيَّـه مـع سـودانه ∴ فيُقتـل فى سـاحة المنـزل

وأُعطيهمُ منكَ عهد الأمانِ ∴

المأمون : سـألتُكَ بالله لا تفعـلِ

أتقتـل فى الـدار فضـلَ بـن سـهلٍ

وحينئـذٍ تقـع الواقعـهْ

تمهـلْ ، وحـاذرْ ، ودارِ الأمـورَ

فـإن المـداراة لى نافعـهْ

تألَّـب حـولى قسـاة القلـوبِ

وصـرَّحت الأنفـسُ الطامعـهْ

فـأخْفِ مـرادك ، لا تُبـدهِ

وإن جئـت بالحيلـة البارعـهْ

---

(١) الصيقل : السيف .

وإن قلـــــتَ لى فأســـــرَّ الحـــــديث

حـــــــذارِ مـــــــن الجُـــــــدُرِ الســـــــامِعَهْ [١]

ويبدو أن المأمون قد نفَّذ هذه المؤامرة سرًّا حيث تذكر مصادر التاريخ أن أربعة أشخاص وثبوا على الفضل بن سهل فقتلوه فى الحمام ، فجعل المأمون لمن يمسكهم عشرة آلاف دينار ، فأمسكهم رجل يقال له العباس بن الهيثم الدينورىّ ، وأحضرهم إلى المأمون ، فلمَّا كلمهم قالوا له : أنت أمرتنا بقتله ، فأمر بهم فضُربت أعناقهم [٢] .

ولم تتحدث المسرحية عن قصة مقتل الفضل ، وإنما ذكرت فى المنظر الثالث من هذا الفصل بكاء أخيه الحسن بن سهل عليه واتهامه طاهر بن الحسين بقتله عندما لقيه بظاهر بغداد فى رحلته مع المأمون للقضاء على فتنة ابن المهدى . تقول المسرحية على لسان الحسن بن سهل [٣] :

مـــــن أخـــــى الفضـــــل نقمـــــتمْ ∴ مـــــا حـــــوى فضـــــلاً ونـــــبلا

فدســـــــــتم مـــــــن رمـــــــاه ∴ حســـــــدًا مـــــــنكم وجهـــــــلا

مـــــــا ســـــــقاه الـــــــذل إلا ∴ أنـــــــت يـــــــا طـــــــاهر

طاهر : كلاَّ

وينتقل الحوار إلى المأمون الذى يخبر وزيره ابن أبى خالد بإعلانه مكافأة مجزية لمن يأتيه بعمه إبراهيم بن المهدى الخارج عليه :

---

(١) الديوان ٢ / ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٢) انظر : تاريخ أبى الفداء ص ٣٣٠ .

(٣) الديوان ٢ / ١٨٨ .

المأمون : لا تقل عمى ، فهـذا خـالع ∴ قـد دعـا الشعب إلى تنصيبهِ

إننى أعـلن أن أدفعهـا ∴ مـائتى ألـف لـمن يأتى بـهِ

ابن أبى خالد : مـائتى ألـف

المأمون : أجل أبذلها ∴ علهـا تنجـح فى تـأديبـهِ

فى غد ندخل بغداد غدًا ∴ هـو يوم الفصـل فيمـا بيننا

سنرى من يرتقى عَرْشى الحمى ∴ ابن سوداءَ المغنى [١] أم أنا ؟ [٢]

ثم يعرض طاهر بن الحسين على المأمون اقتراحًا بتغيير لون ملابس الخلافة الرسمية من الخضرة إلى السواد ؛ لأن السواد هو شعار الدولة العباسية منذ إنشائها ، كما أنه اللون الذى يرتديه أهل بغداد ، فارتداؤه يُعد – فى نظر ابن الحسين – عودةً إلى الأصل ودعوة إلى الوحدة :

هـذا شـعارك يـا أمـيرى خضـرةٌ ∴ وشـعار دولتنـا الأصـيل سـوادُ

أجـدادك العظمـاء لمـا أن عـدوا ∴ بـبنى أميـة ظـاهرين وسـادوا

جعلوا شـعارهمُ السـواد ، تخايلـت ∴ أعلامـه ، فتظـاهر القـوادُ

واليوم فى (مـرو) ظهـرت بخضـرة ∴ وتظـاهرت بسـوادها بغـدادُ

ما ضرَ لـو عـدنا لأصـل شـعارنا ∴ فتشـابه الأجـدادُ والأحفـادُ [٣]

وبعد حوار طويل ينجح طاهر فى إقناع المأمون برأيه ، ثم يُلبسه هو والوزراء أردية سُودًا كان قد أعدَّها لهم .

---

(١) يريد ابن المهدى حيث كانت أمه سوداء ، كما كان محبًّا للغناء ، عارفًا به كما سبق فى أول المسرحية .

(٢) الديوان ٢ / ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٣) الديوان ٢ / ١٩٠ .

ومن باب الإعجاب بطاهر والتكريم له يأمر المأمون خادمه بإحضار الشراب له ، فيشربان ، وأثناء الشرب يبكى المأمون بكاءً شديدًا ، ويحاول طاهر أن يعرف سبب بكائه ، لكن المأمون يرفض أن يبوح به معتذرًا بأنه لا يريد أن يكدر صفوه ، أو يدخل على نفسه الحزن :

طاهر : بحق الود يا مولاى إلا ∴ ذكرتَ لعبدك السر الدفينا

المأمون : بربك دع حديث الحزن ؛ إنى ∴ لأكثر أن أراك معى حزينا [١]

لكن طاهرًا لا يقر له قرار حتى يعرف سبب بكاء المأمون ، فيلجأ إلى حيلة لمعرفة هذا السبب ، وهى أن يطلب من خادمه أشجع أن يتقرب إلى حسين خادم المأمون ، ويعطيه عقدًا ثمينًا لعله يعرف منه هذا السر الدفين الذى أثار دموع المأمون :

طاهر : أشجع

أشجع : مولاى

طاهر : أما سمعتَ ؟

أشجع : كلُّ ما جرى

طاهر : هذا هو العقد الثمين زنة وجوهرا

وإننى بأهل هذا القطر خير مَنْ درى

لن يعدم الواحد منهم من أخٍ أن ينصرا

الزم حسينًا فهو للأمير مثلُ ظلِّهِ

أَظْهِرْ له منك الإخاء والرضى وأَوْلِه

وأعطه العقد وسَلْهُ اليوم لا تخلِّهِ

---

(١) الديوان ٢ / ١٩٢ .

أشجع : مــولاى بالــذئب ســآتيك غــدًا من ذيلــهِ

طاهر : ســوف يُسيل العقــد مــن لعــابه يا أشجعُ

فسلــه عــن مولاه : ما البكــاء ؟ ما التفجعُ ؟

أريــد أن أعــرف ســرًّا فضحته الأدمـــعُ

أشجع : مــولاى ، أمهلنى غــدًا سوف ترى وتسمعُ [١]

* * *

(١) الديوان ٢ / ١٩٢ .

الفصل الرابع من المسرحية

تدور أحداث هذا الفصل سنة ثلاث ومائتين وهى السنة التى خلع فيها أهل بغداد إبراهيم بن المهدى ودعوا للمأمون بالخلافة ، وتخلى عن إبراهيم أصحابه ، ففارق مكانه واختفى ، وأصبح متواريًا متخفيًا [١] .

وتقع أحداث الفصل فى منظر واحد يحكى تنكُّر إبراهيم بن المهدى واختباءه فى دار أحد العبيد ببغداد حيث ينـــزل عليه ابن المهدى يطلب إليه أن يُضيِّفه ، فيرحب العبد ، ويدخله الدار ويذهب لشراء الطعام والشراب له :

العبد : سيدى أهلاً وسهلاً

ابن المهدى : أنا فى الـــدار غريبْ

هـــل لـــديكم منـــزلٌ أسكنه حتى الغروبْ

العبد : سيدى ، فـــانزل على الإكرام والصدر الرحيبْ

هـــذه دارى ، تفضَّل ∴ لست فيهـــا بالغريبْ

وبمـــا تطلـــب سلنى ∴ أنبيـــذ أم حـــليبْ ؟

ابن المهدى : كل ما جئتَ ففضلٌ ∴ منك يرضاه الأريبْ

سيدى ، ابق قليلاً ∴ سوف آتى من قريبْ [٢] .

لكن ابن المهدى يرتاب فى أمر العبد ، فربما كان جاسوسًا من جواسيس المأمون ، أو طامعًا فى المكافأة التى أعلنها لمن يأتيه به ، ومما قوَّى هذه الظنون فى نفسه الخائفة أن العبد عندما خرج أغلق الباب بإحكام ، وعندما عاد لم يكن وحده بل معه مَنْ يتحدث معه :

---

(١) انظر : تاريخ أبى الفداء ١ / ٣٣١ .

(٢) الديوان ٢ / ١٩٣ ، ١٩٤ .

ابن المهدى : ... إلهى ، إنــه الشخــص المــريبْ

ربمــا كــان علَىَّ اليومَ عينٌ ورقيبْ

ربمــا عــادَ مع الجند لكيدٍ ووثوبْ

ويحه ، قد أحكم الإغلاق ما لى من هروبْ

أقبل الوفــد ، فويلى ∴ قــد أتانى بجنودْ

أفتح الباب لهم ؟ كــلا ، فما أرضى القيودْ [١]

لكن شكوك ابن المهدى تتضاءل عندما يعلم أن العبد قد أحضر له قِراه مــن الطعام والشراب ، وأن الذى معه إنما هو حمَّال يحمل عنه ما اشتراه ، فلا يملــك إلا أن يتقدم إليه بالشكر والثناء :

ابن المهدى : يا سيدى ، شكرًا لما أوليتنى ∴ من منَّةٍ عظُمت ومن إكرامِ

لم يكفِ أن واسيتنى وأضفتنى ∴ حتى مضيتَ فجئتنى بطعامِ

العبد : مولاى ، لا تُفسد علىَّ مسرَّتى ∴ فلِقاكَ عندى منحة الأيامِ [٢]

ويأكل ابن المهدى ومضيِّفه ، ويشربان ، ثم يمسك العبد عودًا يريــد بــه أن يُطرب ابن المهدى ، فيعجب كيف عرف العبدُ حبَّه للعود ، واهتمامه بالغناء ، لكــن العبد يخبره بما يثير دهشته ، فهو يعرف أنه ابن المهدى ، ويعرف كذلك طلب المأمون له ، والمكافأة التى أعلنها لمن يأتيه به ، فيزداد إعجاب إبراهيم به ، ويتضاعف إكبــاره لوفائه حيث عَفَّ عن المكافأة ، وعرَّض نفسه للعقوبة :

---

(١) الديوان ٢ / ١٩٤ .

(٢) السابق ٢ / ١٩٥ .

العبد : مولاى ليس اليوم من قدرى ، ولا ∴ ضعفى أمامك أن أقــول غناءَ
لكننى وجبــت لنفسى حــرمــةٌ ∴ بالحق عندك مــا طلبت جزاءَ
مولاى ، هذا العود لو أوليتنى ∴ شرفًا ، جلبتُ لنفسى الســراءَ
ولكم علوّ الرأى يا مولاى ...

ابن المهدى : يا ∴ عجبًا أتسمح لى إذًا بســؤالِ ؟

العبد : يا سيدى سل ما تشاء

ابن المهدى : من الذى ∴ أنباك أن العــود من أشغالى ؟

العبد : عجبًا لمولاى الأمير يظننى ∴ فيمــا يلــوح له من الجهالِ
مولاى لا يخفى علىَّ مكانه ∴ أنت الأمــير لك المقام العالى
ووراءك المأمون بثَّ عيونه ∴ يتربصــون بك ابتغــاء المالِ

ابن المهدى : هــذا وفــاء منك ما قدرتهُ ∴ من قبلُ ، كم طوقتنى بجميل ؟
أتُضيفنى وتعــفُّ عن أموالهم ∴ ليس الذى أوليتنى بقليلِ [1]

ويغنى ابن المهدى ثم يغنى العبد وبعد الغناء يعزم ابن المهدى على الانصراف ، ويدفع إلى العبد صرة من النقود مكافأةً له فيرفضها :

ابن المهدى :ليس بعد الإبداع شىء يُرجَّى ∴ كلُّ مــا بعــده لوقتى ضياعُ
يا صــديقى طوقتنى بجميل ∴ليس يُنسى ، والآن صحَّ الوداعُ
وبلغتُ الأمان جاءك منى ∴ مــا تُرجِّيه كُــلُّ أمــرٍ مُطاعُ

العبد : سيدى ، ما الذى بذلتَ ؟ نقود ∴ ودنــانــير عَــــدُّها آلافُ
مــا الذى قد فعلتُ ؟ نحن الصعاليك لــديكم مدى الزمان ضعافُ

---

(١) الديوان ٢ / ١٩٦ ، ١٩٧ .

إنمـــا الذنب ذنبكم إن غضبنا ∴ كلمـــا قـــلَّ منكم الإنصـــافُ

أعلى ما حباني الدهر من قر ∴ بك أجر ؟ أين التقى وأين العفافُ ؟ ! [١]

ويستأذن إبراهيم فى الانصراف ، ولكن العبد يطلب إليه أن يبقـــى فى داره ؛ لأنها آمنةٌ يجد فيها الستر دون سواها ، فالطرقات ملأى بـــالجنود الـــذين يريـــدون الإمساك به :

ابن المهدى : لك شكرى إذًا ، ودعنى أمضى ∴ فلقد حان للغريب انصرافُ

العبد : ابقَ يا مولاى فى دارى ، ولا ∴ تمضِ ؛ هذى الدار أخفى من سواها

وانتظر حتى يزول الخوف من ∴ طرقاتٍ بلغت منه مداها [٢]

لكن إبراهيم يصر على الذهاب ، فقد ثقلت على نفسه صنائع العبد ، وينتهز فرصة خروجه ، فيرتدى عباءة نسائية سوداء وجدها فى الدار ويهم بالخروج :

عجبًا أفى السِّر الأمير ∴ ومن يد العبد العطاءْ ؟ !

ثقلـــت على نفسى مكارمـــه ، ولازمنى الحـــياءْ

أعلىَّ ينفق مـــالَـــه ∴ عبدٌ ، وأرضى بالبقاءْ ؟ !

فَلأمضِ قبل رجوعه ∴ مـــاذا أحـــاول للنجاءْ ؟

هذا هو الرأى الصوابُ ∴ لـــوقته المعلـــوم جاءْ

ثوب النساء ، وهل يعيب المختفى ثوب النساءْ ؟

أضحى التنكر واجبًا ∴ مذ صحَّ عنى الاختفاءْ [٣]

---

(١) الديوان ٢ / ١٩٧ ، ١٩٨ .

(٢) الديوان ٢ / ١٩٨ .

(٣) السابق ٢ / ١٩٨ ، ١٩٩ .

لكن العبد يعود فجأة ، فيظن ابن المهدى أن خطته للهروب قـد فشـلت ، ويدفع هذا الظن أن العبد لما رآه متنكرًا فى العباءة النسائية حسبه امرأة ، فراح يسأله (أو يسألها) عن ضيفه الغائب ، فأخبره أن الضيف سار إلى جسر بغـداد ، فـانطلق العبد يريد أن يرد ضيفه :

ابن المهدى : لا بعد عنه ولا نجاءْ ∴ هذا هو الملعون جـاءْ

العبد : سيدة ، ما تبتغى السيدةْ ∴ لعلها فيما جرى مسعدةْ

وعـن صـديقى علهـا مـرشـدةْ

سيدتى ، كان هنا ∴ منذ هنيهة رجُـلْ

أنزلته من منـزلى ∴ أحبّ ضيفٍ فَنَزَلْ

فهل رأيتِ صاحبى ؟∴وهل علمتِ ما فعلْ ؟

ابن المهدى (متنكرًا) : ضيفك سار الآن عن ∴ هذا المكان وانتقلْ

رأيته وربما ∴ كان إلى الجسر وصلْ

أسرع إذا أردته ∴

العبد : لجسر بغداد

ابن المهدى (متنكرًا) : أجلْ

العبد : سيدتى ، شكـرًا ، سـأمضى الآن أدرك الرَّجُـلْ

لابد أن أردهُ ∴

ابن المهدى (متنكرًا) : وعُـدْ بـهِ عـلى عَجَلْ

اذهب فإن رددتَهُ ∴ فأنـت يـا عبـدُ بَطَلْ [1]

---

(١) الديوان ٢ / ١٩٩ ، ٢٠٠ .

تذكر كتب التاريخ أن إبراهيم بن المهدى قد تَخَفَّى خوفًا من بطش المأمون ، وأن تخفيه دام مدةً طويلة [١] . لكن هذا التفصيل الوارد فى هذا الفصل من المسرحية غير ثابتٍ تاريخيًّا ، ولا يُعاب على كاتب المسرحية التاريخية أن يضيف من الأحداث والمواقف ما يضفى على العمل الفنى الإثارة والإمتاع ، لكن الذى أراه غير مقبول أن تستغرق هذه التفاصيل فصلاً كاملاً من المسرحية ، على ما فيها من زيادات واستطرادات لم تضف إلى العمل الفنى سوى الإطالة ، مع أن حادثة تخفى ابن المهدى أمر غير ذى بال سواء فى أحداث التاريخ أو فى أحداث المسرحية .

وكان الأولى بشاعرنا أن يذكر موقف المأمون من عمه بعد الإمساك به وهو أمر أكثر خطرًا وأعظم أهمية من مسألة التخفى هذه .

حيث تذكر مصادر التاريخ أن حُرَّاس المأمون قبضوا على ابن المهدى واقتادوه إليه ، فقال له المأمون : هيه يا إبراهيم ، فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين : ولىّ الثأر مُحَكَّمٌ فى القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب ، وجعل كل ذى ذنب دونك ، فإن تعاقب فبحقك ، وإن تعفُ فبفضلك ، فقال المأمون : بل أعفو يا عمَّاه ، أطلقوا عن عمى حديده ، وردُّوه إلىَّ مُكرمًا [٢] .

* * *

الفصل الخامس من المسرحية

---

(١) راجع : تاريخ أبى الفداء ١ / ٣٣١ ، وموسوعة التاريخ الإسلامى ٣ / ١٧٧ .

(٢) انظر : الأغانى لأبى فرج الأصفهانى ٩ / ٥٧ – شرح أ / عبد أ . مهنا ، وسمير جابر – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، وتاريخ بغداد أو مدينة السلام للخطيب البغدادى – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

تدور أحداث هذا الفصل فى قصر المأمون ببغداد نحو سنة عشر ومائتين وهى السنة التى بنى فيها المأمون ببوران بنت الحسين بن سهل [١] .

وهذا الفصل يقع فى مشهد واحد فى قصر المأمون ببغداد ، لكنه يشتمل على عدد من اللقطات المتتابعة :

فى إحدى هذه اللقطات نرى (أشجع) خادم طاهر بن الحسين و (حسين) خادم المأمون ، حيث يريد الأول أن يعرف من الأخير سر بكاء الخليفة كما طلب منه سيده طاهر ، ويخرج له العقد النفيس إغراءً له :

أشجع : حسينُ ، سرٌّ يا حسينُ

حسين : ما تريد أشجع ؟

أشجع : هذا هو العقد إليك من أخيك يُدفعُ

حسين : هذا ثمين يا أخى فى مثله لا يُطمعُ

سل واحتكم كُلِّى آذانٌ إليكَ تسمعُ

أشجع : السر لا تذعه إن كنت بأمرى تصدعُ

فهو رهيب دونه رقابنا تُقطَّعُ

حسين : سرك لى فى مستقر الروحِ سوف يقبعُ

وعن أمير المؤمنين ذاته سيُمنعُ

أشجع : لقى المأمون فى عسكره ∴ طاهرًا بالأمس ما بين الجنودْ

فدعاه لشراب معه ∴ مجلسٌ أنت به الساقى الوحيدْ

أفهل تذكر هذا ؟

---

(١) انظر : تاريخ أبى الفداء ١ / ٣٣٧ .

حسين : آنف ∴ لســت أنســاه فبيَّن مــا تريدْ

أشجع : ذرف المأمون فى مجلسه ∴ ذاك دمعًا دونه الــدر النضيــدْ

وأبى – والله – أن يُفصح عن ∴ سبب الحزن ، فما السر الفريدْ ؟

حسين : صاحبى هَوِّن عليك الأمرَ

بل ∴ هو شغلُ النفسِ والأمر الخطيرْ [1]

فيفرح حسين بهذا العرض ، ويطلب إلى صاحبه مهلة قصيرة يحاول أثناءها أن يعرف من الخليفة هذا السر الثمين .

وينقل المنظر ليقصّ حوارًا بين حسين والمأمون :

المأمون : ..... حسين ها هنا ∴ قد تغديتُ فجئنى بالعصيرْ

بنقيع التمر لا يأتى به ∴ مثلك اليوم من الناس خبيرْ

حسين : سيدى ، والله لا أسقيكه ∴

المأمون : عجبًا للعبد، ما هذا الجنونْ ؟

أفتعصى أمر مولاك إذًا

حسين : لستُ أعصيك أمير المؤمنينْ

غير أنى لست أسقيك سوى ∴ أن تبوح اليوم بالسر الدفينْ

المأمون : أى سر ذاك ؟ بيِّن .

حسين : أدمع ∴ ذُرفت أغلى من الدر المصونْ

المأمون : أى عين ذرفتها ؟

حسين : إنما ∴ سال أغلى الدمع من أغلى العيونْ

عين مولاى التى قد ذرفت ∴ أمس ، فالقلب لذكرها حزينْ

---

(١) الديوان ٢ / ٢٠٢ .

المأمون : إن هذا الأمر أضحى ∴ وهو يعنيك كثيرًا

ما الذى يدعوك أن تسأل فى ذاك الأميرا ؟

حسين : خفتُ يا مولاى أوها ∴ مًا وقدرتُ أمورا

وشجى نفسى أن يفقـــد مـــولاى السرورا

المأمون : ســـوف أنبيك فـــإن قلت جليلاً أو حقيرا

أو أشعت اليوم لفظًا ∴ منه أو حرفًا صغيرا

لم تجد عندى سوى المو ∴ تِ جزاءً ومـــصيرا

حسين : ومتى كنتُ أذيـــع السرَّ والأمـــرَ الخطيرا ؟

سيدى ، حاشَا وكلاَّ ∴ أنا إن خنتُ الأميرا

لم أكن بالثقة الكبرى ∴ ولا العطف جديرا [١]

وبعد هذا الحوار الطويل يبوح الخليفة بالسر ، فيخبر خادمه أن الذى أسال دموعه ذكرى الأمين الذى قُتل وهو فى ريعان الشباب ، ويقسم أن يأخذ بثأره ممن قتله ، بأن يقتل طاهرًا انتقامًا لأخيه :

المأمون : قسمًا يا حسينُ ما حرَّك العين فـــأذرفت بالأمس دمعًا صبيبا

غير ذكرى الأمين من كان خدنى ∴ فى صـــبانا وصنوىَ المحبوبا

إذ تمثلتهُ وراء الليالى ∴ جسدًا فى دم الشباب خضيبا

فـــإذا عَـــبرة جـــرت فـــأغصتنى كـــأنى قد ازدردت اللهيبا [٢]

لا ومن ساقها إلىَّ جلالاً ∴ وحبانى من الأمـــور نصيبا

---

(١) الديوان ٢ / ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٢) العَبرة : الدمعة ، وأغصتنى : جعلت فى حلقى الغُصَّة ، ازدردت : ابتلعت .

لأنالنَّ ثأره من لئيمٍ ∴ غلب الوحشَ سطوةً ووثوبا

حسين : طاهر ؟ سيدى ؟

المأمون : أجل . من سواه ؟

حسين : أى ثأر يلقاه ؟

المأمون : موتًا قريبا [١]

ثم ينتقل الحوار إلى حسين وأشجع حيث يخبره بما دار بينه وبين الخليفة ، ويخبره بعزم المأمون على قتل طاهر ، ويطلب منه تحذيره من هذا الخطر :

حسين : أشجع ، فاسمع ، إنها قصةٌ ∴ لــولاك ما كنت بها أخبرُ

مولاك أدركْه ، فإن الردى ∴ منه قريب ، وهو لا يشعرُ

قد ذرف المأمون من دمعه ∴ على أخيه الميت إذ يذكرُ

وإنــه يثأر مــن طــاهرٍ ∴ وهــو بغــير القتل لا يثأرُ

أشجع :حسين ،شكرًا لك من مخلصٍ ∴ ومثلُك الليلة من يُشكرُ

دعــنى أنبِّهْ سيدى طاهرًا ∴ لعلــه فى أمــره ينظرُ [٢]

ويذهب أشجع لإخبار سيده طاهر بما سمع ، فيدور بينهما هذا الحوار [٣] :

أشجع (همسًا) : أدرك أمورك ؛ إنهُ ∴ ذكــر الأمينَ فسالَ دمعُهْ

انظر ، فهذى عينُهُ ∴ رمَقتك [١] دائبة [٢] وسمعُهْ

---

(١) الديوان ٢ / ٢٠٤ .

(٢) الديوان ٢ / ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٣) السابق ٢ / ٢٠٥ .

الثأر منك مـــرادهُ ∴ والقـــتلُ والتنكيلُ طبعُـــهْ

طاهر [جانبًا] : شُكرًا لفضلك أشجعُ ∴ وأنـــا العشـــيةَ مسرعُ

لم يبقَ فى نفسى لشـــكٍّ بعـــد قـــولك موضعُ

ويتوجس (طاهر) خيفة بعد علم بنية المأمون ، فيهديه تفكيره للجوء إلى ابن أبى خالد صديقه وزير المأمون ، فيطلب إليه أن يصطنع حيلة يُبعده بها عن المأمون فى هذه الأيام ، فيستجيب ابن أبى خالد ، ويتحدث مع المأمون حديثًا منفردًا ، بعده يستدعى المأمون طاهرًا ويكون هذا الحوار [٣] :

المأمون : يا ابن الحسين ،

طاهر : أميرى

المأمون : هذا أوان سرورى

رأيتُنى منذ حين ∴ وأنت فى تفكيرى

عجمت أعواد جندى ∴ من قائدٍ ومشيرٍ

فما وجدتُ عظيمًا ∴ يُرجَى لأمرٍ خطيرٍ

سواك ...

طاهر : مولاى مرنى .

المأمون : اذهب بجندٍ كثيرٍ

إلى خـــراسان توًّا ∴ مُعَجَّـــلاً فى المسيرِ

---

(١) رمقتك : أطالت النظر إليك .

(٢) دائبة : مستمرة .

(٣) الديوان ٢ / ٢٠٦ .

وأَجْلِ غسَّانَ عنها ∴ فــذاك غيرُ جديرِ [١]

وقــد يثور بــه الترك قبل وقــتٍ قصيرِ

الآن ...

طاهر : مــولاى طــوقتنى بفضــلٍ كبــيرِ

بإذن مولاى أمضى ∴ بــغــير ما تأخيرِ [٢]

طلب المأمون من طاهر أن يسير بالجند إلى خراسان لإجلاء الغساسنة عنها ، وهذا ما أشار به عليه ابن أبى خالد ، وهذا – أيضًا – ما أوقع الرضا والأمن فى قلب طاهر ، فصار يحدث نفسه :

نجــــــوتُ والله منــــــــهُ ∴ وفــــــــزتُ بالتقــــــــدير

وكنــــــتُ بــــــين يديــــــهِ ∴ أخــــافُ ســــوءَ المصــــير [٣]

ثم ينتقل المنظر إلى تصوير مشهد عرس الخليفة المأمون على (بوران) ابنة الحسن بن سهل ، ويبدأ الاحتفال بتقديم الهدايا للعروس ، حيث تهديها زبيدة أم الأمين بدلة لؤلؤية ، وتهديها (حمدونة) بنت الرشيد عقدًا من اللؤلؤ . أما أم الفضل [٤] فتنثر صرة كبيرة من اللؤلؤ والمرجان فى ساحة العرس . تقول المسرحية [٥] :

زبيدة : حَلَّ يوم السعودِ يا بورانُ ∴ شرف القصر وازدهى الإيوانُ

---

(١) المعنى : أنه طلب إليه إجلاء الغساسنة عن خراسان لأنه لا يليق أن يحتلوها وهى تحت إمرة الخلافة العباسية .

(٢) الديوان ٢ / ٢٠٦ .

(٣) السابق ٢ / ٢٠٦ .

(٤) هى أم الفضل بن سهل ، وجدة العروس ، ووالدة أبيها الحسين بن سهل .

(٥) الديوان ٢ / ١٠٧ ، ٢٠٨ .

عرسكِ اليوم فرحة لليالى ∴ ســـوف تروى حديثَها الأزمانُ

واقبلى هذه الهدية منى ∴ واقلبى الضعف

الجمع : بدلة لؤلؤيهْ

ابن سهل : أحسنت أم جعفر [١]

المأمون : لك يا أماه [٢] شكرى حملتِ خـــير هديَّهْ

فهو ملكٌ له يدين الزمانُ ∴ حمدونة : اسعدى بالأمير يا بورانُ

عرسُكِ اليوم آيةٌ من جمال ∴ ضاق عن وصفها الحجىّ [٣] البيان

واقبلى هذه الهدية

الجمع : عقد

ابن سهل : ألبستها ، فأحسنت حَمدونَهْ

المأمون : لك يا عمتاه شكـــر عظيم ∴ أنت يـــا عمتاه من تقدرينَهْ

أم الفضل : اسعدى يا ابنتى وباهى وغالى ∴ بأمير كساك ثوب الجلالِ

وأعيدى للخيزران [٤] عهودًا ∴ سلفتْ كُنَّ آيةً فى الجمالِ

واسعدى بالأمير دهرًا وعيشا ∴ فى سرورٍ على مرورِ الليالى

تبذل المهديات ثوبًا وعقدًا ∴ ولأم العروس نثر اللآلى

خذوا ، خذوا

---

(١) أم جعفر هى زبيدة .

(٢) ناداها بأمه تقديرًا لها ، وإلا فهى زوجة أبيه .

(٣) الحجىّ : الشىء الذى يُولع به الناس لجماله .

(٤) هى زوج الخليفة المهدى ، وكانت امرأة قوية ، تحب النفوذ ، وتهوى السلطان . (انظر : موسوعة التاريخ الإسلامى ٣ / ١٣٧) . والمراد تشبيه بوران بها .

الجمع : لآلئ ، جواهرُ

المأمون : أحسنتِ يا أماه ، عاش الناثرُ

لآلئ البحرين والجواهرُ

ابن سهل : هيا اجمعوا ما نثرتْ هيا اجمعوا ∴ ما نُثر الليلةَ لا يُضيعُ

لؤلؤ بوران إليها يُدفع

زبيدة : بوران هاكِ اللؤلؤ الثمينا ∴ بوران هاكِ الجوهر المكنونا

أم الفضل : مصونة قد أُهديتْ مصونا ∴ يا ربّ ، صُنْ بوران والمأمونا

ممتعين الدهر والسنينا

الجمع : يا رب صُن بوران والمأمونا

ممتعين الدهرَ والسنينا [١]

وبعد تقديم الهدايا يتقدم فريق المنشدين يهنئون العروسين ويصفون ما رأوا من هدايا :

اخطرى بـوران يـا خـير العـروسْ ∴ يا هدى الأقمار ، يـا نـور الشـموس

يا مـنى المـأمون ، تفـديك النفـوس ∴ يومـك الغـالى هـو اليـوم السـعيدْ

تلـك أم الفضـل فى المحفـل تظهـرْ ∴ نشـرت راحتـها أكـرم جـوهرْ

وبشـوب العـرس جـاءت أم جعفـرْ ∴ وكـذا حمْدُونـةٌ بنـت الرشـيدْ

اخطـرى بـوران هـذا الاحتفـالْ ∴ هو عيـد الـدهر ، عنـوان الكمـالْ

شـرفٌ بـاق ، وعـزٌّ ، وجمـالْ ∴ ولـديك اليـوم بـورانُ المزيـدْ

---

(١) الديوان ٢ / ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

* * *

اخطرى بـــورانُ قـــد جـــاء الأمـــيرْ ∴ جـــاء كالليـــث مـــن الغـــاب يســـيرْ

وهو بـــدر الـــتم ، ينجـــاب الأثـــير ∴ عن شـــعاع منـــه وضـــاح فريـــدْ [١]

ثم يأتى الدور على الحسن بن سهل (والد العروس) لتقديم الهدية ، لكنه لا يقدم هديته للعروسين ، وإنما يقدمها للقواد الذين كان لهم دور بارز فى تحقيق استقرار الدولة ، فيكتب رقاعًا مكتوبًا فى كل منها اسم ضيعة ، وينثرها على القواد بحيث يمتلك كل منهم الضيعة المكتوبة فى رقعته ، فيسعد القواد بهذا الصنيع ، ويرضى الخليفة المأمون :

ابن سهل : علىَّ الآن بالقواد

المأمون : هيا

ابن سهل : علىَّ بهم ، علىَّ بهم ، عليَّا

تعالوا ، أقبلوا ، أنتم رجالى ∴ فـــلم أرَ فـــيكم إلا أبيَّا

نهضتم بالقتال أسودَ حربٍ ∴ وقدمتم لها البذل السخيَّا

وها أنا ليلة الأفراح أُجرى ∴ يدًا بيـــدٍ ، وفيضًا أريحيا

بأسماء الضياع لكم رقاع ∴ سأنثرها عليكم مـــن يديَّا

فمن تكُ رقعةٌ وقعت عليه ∴ يعـــود بملك ضيعته رضيَّا

الأول : إنى ملكت ضيعةً بالموصل ∴ وأنت

الثانى : بالبصرةِ

الثالث : لا بُغية لى

---

(١) الديوان ٢ / ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

من هذه الضياعِ غير موئل [١] ∴ ما بين روضٍ وارفٍ ، وجدولِ
يضوع [٢] بالمسك وطيب الصندل [٣] ∴ وأنت ؟

الرابع : فى مروٍ بعيد المنـــزل
وأنت

الخامس : بالبحرين فى تنقل ∴ عـــلى الخليج فى النسيم المقبلِ

الأول : حمدًا وشكرًا للكريم المُفْضِلِ ∴ حمـــدًا وشكـــرًا للـــوزير الأمثلِ

ابن سهل : اذهبوا فامتلكوها واسعدوا ∴

المأمون : يا ابن سهلٍ عجبٌ أمرُ الرِّقاعْ
نشرت أمُّك درًّا بيننا ∴ ونشرتَ اليومَ فى القوم الضياعْ

أم الفضل : مثله مَنْ وهبتْ راحتُهُ ∴ غدر الأقمار ، بل حُرَّ الشمـــوسْ

المأمون : أمُّ ، شكرًا لزمانٍ صالحٍ ∴ جمـــعَ الأهـــلَ ووافى بالعـــروسْ
قد تلاقينا على صرف الهوى ∴ والتصـــافى بعـــد كيدٍ وخصـــامْ
ورضينا بقضاء عادل ∴ فـــنعمنا بـــــودادٍ ، وســـــلامْ
سر بنا يا عمّ ، هيا سِرْ بنا ∴ فـــلئن كـــان مـــن الصفو مزيدْ
فسنحظى بك فى أسمارنا ∴ صحبة الإمتاع والعهد الجديدْ [٤]

وهذا الترف الذى تذكره المسرحية فى حفل زفاف المأمون أمر ثابت تاريخيًّا ففى تاريخ أبى الفداء أن جدة بوران أم الحسن والفضل قد نثرت فى تلك الليلة ألف

---

(١) موئل : ملجأ .

(٢) يضوع : تفوح رائحته .

(٣) الصندل : شجر خشبه طيب الرائحة تظهر رائحته بالدلك أو الإحراق .

(٤) الديوان ٢ / ٢٠٩ ، ٢١٠ .

حبة لؤلؤ من أنفس ما يكون ، وأوقدت شمعة من عنبر تزن أربعين منًّا [١] ، وكتب الحسن بن سهل أسماء ضياعه فى رقاع ونثرها على القواد ، فمن وقعت عليه رقعة أخذ الضيعة المسماة فيها [٢] .

وفى موسوعة التاريخ الإسلامى أن الحسن بن سهل قد بذل من الأموال فى هذا الزواج ، ونثر من الدر ما يفوق حد الكثرة ، حتى إنه عمل بطاطيخ من عنبر ، وجعل فى وسط كل منها رقعة بضيعة من ضياعه ونثر هذه البطاطيخ ، فمن وقعت فى يده بطيخة منها فتحها ، وتسلَّم الضيعة التى فيها ، وكانت دعوة عظيمة تتجاوز حد التجمل والكثرة ، حتى إن المأمون نسبه فى ذلك إلى السرف ، وفرش الحسن للمأمون حصيرًا منسوجًا من الذهب ، ونثر عليه ألف لؤلؤةٍ من كبار اللؤلؤ [٣] .

وبهذا المشهد البهيج لحفل زفاف الخليفة المأمون يُسدل ستار الختام للمسرحية.

* * *

(١) المَنّ : معيار قديم كان يُوزن به .

(٢) تاريخ أبى الفداء ١ / ٣٣٧ . (بتصرف يسير) .

(٣) انظر : موسوعة التاريخ الإسلامى ٣ / ١٨٧ ، ١٨٨ .

• • لمحات نقدية :

• الالتزام بحقائق التاريخ غالباً :

التزمت المسرحية بالأحداث والحقائق الواردة فى مصادر التاريخ التى تتناول تلك المرحلة التاريخية حيث استقت المسرحية خطوطها العريضة من هذه المصادر ، أما التفاصيل الدقيقة وما اشتملت عليه من أحداث وحوارات فلا يخفى أن للفن والإبداع دوره فيها .

ولم يخالف الشاعر حقائق التاريخ إلا فى مواقف قليلة جدًّا مثلما أورده من تساهل زبيدة مع المأمون على حساب الأمين [١] .

• الإجادة فى رسم ملامح الشخصيات :

أجاد (عامر) فى رسم ملامح الشخصيات التى تضمنتها المسرحية ؛ حيث نسب إلى كل شخصية ما يلائمها من أفعال ، وأجرى على لسانها ما يناسبها من حوار .

فمثلاً فى حديثه عن أبى نواس الشاعر يبرز (عامر) ملامح شخصية أبى نواس فهو شاعر اتسم بالدعابة وخفة الظل ، وقد أظهر (عامر) هذا الجانب فى شخصية أبى نواس فى سياق حديث جلساء الأمين عنه فى هذا الحوار :

الأول : وأين أبو نواس ؟

الثانى : لستُ أدرى

الأول : لماذا غاب عن ليل الشرابِ ؟ !

الثانى : لقد ولى زمان أبى نواس

وجاوز عمره نزق الشبابِ

---

(١) انظر : الفصل الثانى من المسرحية وتحليله فى هذه الدراسة .

الأول : ولكن لم يفارقه دعاب

تفرد فيه بالعجب العُجابِ [١]

كما كان مما يميز أبا نواس ذلك الدهاء المرح فى محاوراته ، ذلك الملمح الذى أبرزه (عامر) فى حوار أبى نواس مع الخليفة الأمين وإخباره له بأن الكلاب قد طلبت منه نقودًا ثم تفسيره للكلاب بأنهم رجال طاهر بن الحسين :

أبو نواس : أمير الدهر صفحًا عن غيابى

فمن حق الطريق إذا مشينا

بها ليلاً مصانعة الكلابِ

الأمين : مصانعة الكلاب ؟

أبو نواس : أجل أميرى

فقد رصدوا هنالك كل بابِ

وكل منهم يبغى نقودًا

ويلحف [٢] فى السؤال وفى الخطابِ

الأمين : كلاب منك قد طلبت نقودًا ؟

عجيبٌ ! هل سمعتم يا صحابى ؟ !

ثم يقول أبو نواس :

فمـــا مـــلأ الطريـــق ســـوى كـــلاب

وإن لبســـــــوا بهـــــــا ثـــــــوب الـــــــذئابِ

---

(١) الديوان ٢ / ١٦٠ .

(٢) يلحف : يُلحّ فى المسألة .

رمـــاهم طـــاهر مـــن كـــل صـــوبٍ

لإجـــــــرام وســـــــلب وانتـــــــهابِ [١]

ثم يبرز الشاعر ملمحًا آخر من ملامح الشخصية النواسية . وهو حبه الشديد للمال ، وذلك عندما يطلب إليه الأمين قول الشعر فيعتذر أبو نواس قائلاً :

أمـــــيرى ، إنهـــــم ســـــلبوا نقـــــودى

فمـــــا أقـــــوى هنـــــاك علـــــى الكـــــلامِ

فيرد الأمين : منحتُك ألف دينارٍ

فيجيبه أبو نواس : أميرى

سألت الله حفظك ألف عامِ [٢]

وهى إجابة تنم عن سعادته بالمال وشغفه به ، كما أنها لا تخلو من خفة الروح حيث دعا للخليفة بالحفظ سنين بعدد الدنانير .

كما يشير الشاعر إلى إدمان أبى نواس للخمر حيث صوره وبيده زق خمر دخل بها مجلس الخليفة :

الأمين : وماذا فى يمينك ؟

الجميع ضاحكين : زق خمرٍ

الأمين : تقدم ، ويحك ابسطها أمامى [٣] .

---

(١) الديوان ٢ / ١٦٠ ، ١٦١ .

(٢) السابق ٢ / ١٦١ .

(٣) السابق : الصفحة نفسها .

• **عدم الإغراب فى الخيال** :

إذا كان الشعر الغنائى عماده الخيال المحلق المؤلف للصور البديعة ، فإن الشعر المسرحى – لاسيما التاريخى منه – لا يعول على الخيال كثيرًا ؛ لأنه يعتمد فى المقام الأول على الحقيقة التاريخية .

وهذه القاعدة العامة تنسحب على المسرحية موضع الدراسة ؛ فالشاعر لم يلجأ إلى الإغراب فى الخيال وتكثيف الصور فيها ؛ وإنما كان حظها من الخيال والتصوير غير كبير .

ولا يعنى هذا أن المسرحية خلت من التصوير خلوًّا تامًّا ، بل إننا – فى بعض الأحيان – نجد عددًا من الصور التى أبدع الشاعر فى رسمها كتلك الصور التى أوردها على لسان الخليفة الأمين مصورًا نفسيته المتشائمة :

مـــــلأ الجـــــوَّ ضـــــبابٌ ∴ كالـــــدم الأحمـــــر قـــــانِ

وهـــــوى البـــــدر مريضًـــــا ∴ شـــــاحبًا خلـــــف المبـــــانى

ويكـــــاد الفجـــــر أن يضـــــحك فى خضـــــر المغـــــانى

ونجـــــوم تتـــــهاوى ∴ فى ضـــــباب كالـــــدخان

ســـوف يهـــوى اليـــوم نجـــمٌ ∴ كـــان تاجًـــا للزمـــان [1]

فالأبيات حافلة بالصور البديعة المعبرة عن الحالة النفسية .

ومثلها ما أورده الشاعر عند حديثه عن وداع الأمين لقصر الخلد :

---

(١) الديوان ٢ / ١٦٦ .

آن لى أن أودع اليـــــــــــوم قصـــــــــــرًا

كـــــــان للـــــــنفس لـــــــذة ومتاعـــــــا

مُـــــــدَّ فى بهـــــــوه بســـــــاط ســـــــرورى

وأضـــــــاءت بـــــــه الكئـــــــوس شـــــــعاعا

وتلاقـــــــى علـــــــى النشـــــــيد النـــــــدامى

فى حمـــــــى الـــــــورد يعقـــــــدون اجتماعـــــــا

الصـــــــبا والقيـــــــان والزهـــــــر والخمـــــــر رســـــــوم تمـــــــر تباعـــــــا

ســـــــامر لم تطـــــــل عليـــــــه الليـــــــالى

بـــــــل تقاصـــــــرن ، وانتـــــــهين ســـــــراعا

وخـــــــداع الأسمـــــــاء يتـــــــرك قصـــــــر الخلـــــــد ركنًـــــــا مقوضًـــــــا يتـــــــداعى

أيهـــــــا القصـــــــر ، حـــــــان عنـــــــك رحيلـــــــى

فوداعًـــــــا يـــــــا قصـــــــر ، ثم وداعـــــــا [١]

ولا يخفى ما فى الأبيات من صور رائعة مؤثرة .

- **استخدام أسلوب الإقناع والتأثير** :

يميل (عامر) فى هذه المسرحية إلى استخدام أسلوب الإقناع والتأثير فى عرض الأفكار .

نجد مثالاً لذلك ما أورده الشاعر على لسان إسحق الموصلى يخاطب إبراهيم ابن المهدى محاولاً إقناعه بترك تعلم الغناء الذى لا يليق بمكانته :

---

(١) الديوان ٢ / ١٧١ .

إســـحق : مـــولاى إبـــراهيم ، إنـــك ســـيد

عـــــالى المكانـــــة أريحـــــىٌّ أمثـــــلُ

مشـــــجى أمـــــير المـــــؤمنين ، وعمـــــه

ولـــــك الخلافـــــة دونـــــه لـــــو يُعقـــــلُ

لم يبـــــقَ للعبـــــاس مـــــن أبنائـــــه

أحـــــد ســـــواك بهـــــا أحـــــق وأفضـــــلُ

ابـــن المهـــدى : هـــل كـــان للعبـــاس مـــن أبنائـــه

مثلـــــى مغـــــنٍّ ســـــاقطٌ متبـــــذلُ

إســـحق : فبـــذاك لا بســـواه تفضـــلهم ، مـــتى

ســـــقط المغـــــنى وهـــــو حـــــر أكمـــــلُ

غنيـــــتَ للإطـــــراب ، مـــــا غنيتـــــهم

للكســـــب أنـــــت المـــــنعم المتفضـــــلُ [١]

ومثله – أيضًا – ما ساقه الشاعر على لسان القاضى ينصح الخليفة الأمين بعدم خلع أخيه المأمون :

القاضـــى : هـــارونُ قسَّـــم هـــذا الملـــك بينكمـــا

هـــــذا بمـــــرو ، وذا فى دار بغـــــدادِ

ومـــــا رأى عنـــــده فضـــــلاً يزيـــــد أخًـــــا

علـــــى أخٍ ، بـــــل رأى أفـــــلاذ أكبـــــادِ

فـــــلا تكـــــن ناكثًـــــا للعهـــــد ، مبتـــــدئًا

---

(١) الديوان ٢ / ١٥٧ .

بالعـــــذر ، ذلـــــك فعـــــل الظـــــالم العـــــادى [١]

فالقاضى ينصح الأمين بعدم نكث العهد حتى لا يكون ظالمًا معتديًا على حق أخيه ، وقد استخدم الشاعر فى ذلك أسلوب الإقناع والتأثير .

وقلما نجد عامرًا يأتى بأفكار وأحداث تتنافى مع الإقناع والمنطق مثلما نرى فى الفصل الرابع وما أورده الشاعر من حكاية ابن المهدى مع العبد حيث أتى (عامر) بأمور قد تتنافى مع المنطق : فما الذى يدفع ابن المهدى إلى الخروج من دار وجد فيها الأمن الضائع ووجد فيها كل ما يحتاجه من مطعم ومشرب ومأوى ، حتى أدوات الغناء والترفيه التى يعشقها ، والنبيذ الذى يدمنه وجد كل ذلك مهيأً دونما ثمن ، وأهم من هذا كله إخلاص ذلك العبد الذى رفض المكافآت المجزية ، وآثر إكرام ضيفه وسيده .

أما ما يذكره الشاعر من أن نفسه قد أبت عليه أن يقيم فى ضيافة العبد دون مقابل فهذا أمر يبعد أن يقع فى حسبان من هو مهدد بالقتل ، مطلوب من جند الخليفة الذى هو أعلى القوم شأنًا وأكثرهم سلطانًا ، وكيف نقبل أن تلك النفس الأبية ترفض الضيافة وهى أمر مقبول فى الشرع والعرف ، وتقبل زى النساء ، وهو أمر ممقوت يجلب السُّبة والعار ؟ !

كما لا يخفى أن اقتناع العبد بأن الذى يحادثه امرأة وهو قد مكث مع ابن المهدى وقتًا غير قصير وعرف صوته – أمر فيه استخفاف بعقلية القارئ .

وقد ذكر (عامر) ما يشير إلى أن العبد يعيش فى المنـــزل وحيدًا فما سبب امتلاكه لهذه العباءة النسائية ؟ بل كيف لا يعرف العبد عباءته وقد ارتداها ابن المهدى ...؟! إن هذا كله مما يدعو إلى القول إن الشاعر لم يحالفه التوفيق فى هذه القصة .

---

(١) الديوان ٢ / ١٦٤ .

• **الاهتمام بعنصر الحوار** :

يعد الحوار العنصر الأهم من عناصر العمل المسرحى ، فعن طريقه يعرف القارئ أو المشاهد سير الأحداث ، ويتعرف الشخصيات .

وقد اهتم (عامر) فى هذه المسرحية بعنصر الحوار اهتمامًا كبيرًا ، وعنى به عناية فائقة فجاء بالحوارات التى تناسب طبيعة كل شخصية من شخوص المسرحية ، وكان للحوار عنده دوره البارز فى التعرف على سير الأحداث ، ونقل الأفكار والمشاعر .

ولنقف عند هذا الحوار الذى أورده الشاعر على لسان الخليفة الأمين وأمه زبيدة :

زبيدة : أى بنى الأمين ،

الأمين : أماه

زبيدة : لا تجزع لشىء من حادثات الليالى

وامنـــــع العـــــين أن تفـــــيض دموعًـــــا

لـــــيس ســـــفح الـــــدموع شـــــأن الرجـــــال

وتلـــــقَّ الخطـــــوب جَلْـــــدًا صـــــبورًا

إنمـــــا الصـــــبرُ شـــــيمةُ الأبطـــــال

الأمين : كيف صبرى على مخادعة المـأ مـون ؟ ؟

زبيدة : ذاك الأخ الكـــــريم الخصـــــال

الأمين : كيف يـا أم ؟ إنمـا أنـا حـر ∴ قرشـيٌّ ، وذاك نسـل المـوالى !

زبيدة : أنتمـا مـن صـباكما توأمـان ∴ فى أب يـا بـنى ، تلتقيـان

إنـه ابـنى ، وإنـك ابـنى سـواء ∴ أنتمـا مـن محـبتى تنـهلان

قلـت بـالأمس لابـن ماهـان إذ سـار لـه فى المشـاة والفرسـان

إن يكـــن لابـــنى الأمـــين حنـــانى ∴ فـــأخوه يصـــيب ذات الحنـــان

ملـــك ، بـــل أخ ينـــافس بـــالحق أخـــاه فى التـــاج والصـــولجان

الأمـــين : مـــا أرانى إلا صـــريع المنايـــا ∴ بيـــد الغـــادرين والجبنـــاء

أدركـــونى بكـــوب مـــاء . سأقضـــى ظمأً

زبيدة : أدركـــوا الأمـــير بمـــاءِ [١]

ففى الحوار السابق يتجلى رعب الخليفة المحاصر ، كما تتجلى حكمة الأم وعطفها ، ومنه نستكشف ما آلت إليه أحداث المسرحية من اشتداد الحصار بالأمين إلى الحد الذى جعله يوقن أنه مقتول لا محالة .

• **العناية باللغة والأسلوب** :

عنى الشاعر باللغة والأسلوب فى صياغته لهذه المسرحية حيث اختار الألفاظ السهلة المعبرة الملتزمة بالسلامة اللغوية ، كما انتقى الأسلوب السلس الذى يؤدى للمعنى من أقصر طريق دونما التواء أو تعقيد .

والحرص على سهولة اللغة والأسلوب سمة غالبة فى أعمال (عامر بحيرى) جميعها . يقول عنه أحد النقاد [٢] : هذه البساطة فى النظم والصياغة هى البسمة الجذابة ، لأنها تؤكد أن الشاعر لم يكن يجرى وراء تركيب الألفاظ البليغة بقدر ما كان يجرى بشعره وراء الأحداث يصورها تصوير شاعر يريد أن يردّ عن الشعر العربى ما بقى من ظنون المتقولين عليه . أ . هـ .

---

(١) الديوان ٢ / ١٧١ ، ١٧٢ .

(٢) هو الناقد والصحفى الأستاذ / حافظ محمود . انظر مقالته المنشورة فى جريدة الجمهورية – العدد الصادر فى ٢٥ يوليه ١٩٧٦ م .

لقد حرص (عامر) فى هذه المسرحية على الإتيان بالألفاظ التى تناسب العصر الذى تدور الأحداث فيه ، على أننا قد نعثر فى أحيان قليلة على بعض ألفاظ لا تتواءم مع العصر العباسى مثل كلمة (فولاذ) وكلمة (أعصاب) فى قوله على لسان إسحق الموصلى يصف الخليفة الأمين :

مـــــن أى فـــــولاذ غـــــدت أعصـــــابه ؟

عجبًـــــا ! أيهـــــزل والقضـــــا لا يهـــــزل ؟ (١)

فالكلمتان من ألفاظ العصر الحديث .

ومثلهما كلمة (نجف) فى قوله على لسان أشجع الخادم يصف قصر المأمون :

نجـــــف القصـــــر والشـــــموع عليـــــه

كشـــــموس الضـــــحى تـــــثير فتـــــونى (٢)

فهذه الكلمة حديثة ، وكانت قديمًا تسمى بالثُّريَّات .

وفى أحيان أخرى نادرة نجد الشاعر يستخدم لفظة غريبة غير مألوفة مثل كلمة (القطرميز) بمعنى وعاء الخمر فى قوله على لسان العبد يخاطب ابن المهدى :

..... هـــــاك القطرميـــــز ، فصُـــــبَّها

ذهبيَّـــــةً ، شـــــق الظـــــلام شـــــهابها (٣)

وقد يستخدم (عامر) أساليب مقتبسة من الأمثال الشعبية المعاصرة كما فى قوله على لسان المأمون :

---

(١) الديوان ٢ / ١٥٨ .

(٢) السابق ٢ / ٢٠١ .

(٣) الديوان ٢ / ١٩٦ .

وإن قلـــــــــتَ لى فأَسِـــــــــرَّ الحـــــــديث

حـــــــذارًا مـــــــن الجُـــــــدُر الســـــــامعه [١]

فالشطر الثانى مقتبس من المثل الشعبى " الجدران لها آذان " وهو يضرب للحث على المبالغة فى السريَّة .

ومثله قوله على لسان أشجع الخادم :

مولاى ، بالذئب سآتيك غدًا من ذيله [٢]

وهو مقتبس من قولهم " ذهب ليأتى بالذئب من ذيله " وهو مثل يضرب للقيام بالمهمات الصعبة .

لكن هذه الأمور نادرة ، أما السمة الغالبة على لغة وأسلوب المسرحية فهى الحرص على السهولة والسلامة والالتزام بالصحة اللغوية .

• **الاقتباس القرآنى** :

يكثر (عامر) من الاقتباس القرآنى ، فنراه يتأثر بأسلوب القرآن الكريم فى مواضع كثيرة منها :

– تأثره فى قوله على لسان الأمين :

ســـــــينتهى الأمـــــــر بعـــــــد حـــــــين

إنـــــــــــا إلى الله راجعـــــــــــونَ [٣]

بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [٤] .

---

(١) الديوان ٢ / ١٨٧ .

(٢) السابق ٢ / ١٩٢ .

(٣) السابق ٢ / ١٧٤ .

(٤) من الآية (١٥٦) – سورة البقرة .

- تأثره فى قوله على لسان هرثمة :

فلـــــيحكم القاضـــــى . لـــــيحكم بيننـــــا

بالعـــــدل أن كـــــان التقـــــى المســـــلما [١]

بقوله عز وجل : ﴿ وإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [٢] .

- تأثره فى قوله على لسان الأمين :

قضـــــــــى الأمـــــــــر الـــــــــذى

فى شـــــــــأنه تســـــــــتفتيان [٣]

بقوله سبحانه : ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الَذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [٤] .

- تأثره فى قوله على لسان الخادم حسين :

وغـــــدا أمـــــير المـــــؤمنين مؤيـــــدًا

نعـــــم الخليفـــــة إنـــــه أوابُ [٥]

بقوله جل وعلا فى حق أيوب عليه السلام : ﴿ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [٦] .

- تأثره فى قوله على لسان المأمون :

---

(١) الديوان ٢ / ١٦٨ .

(٢) من الآية (٥٨) – سورة النساء .

(٣) الديوان ٢ / ١٦٦ .

(٤) من الآية (٤١) – سورة يوسف .

(٥) الديوان ٢ / ١٧٩ .

(٦) من الآية (٤٤) – سورة ص .

أتقتـــــل فى الـــــدار فضـــــل بـــــن ســـــهلٍ

وحينئـــــــــذٍ تقـــــــــع الواقعـــــــــةْ ؟ ! [١]

بقوله تبارك اسمه : ﴿ إِذَا وقَعَتِ الوَاقِعَةُ ﴾ [٢] .

– تأثره فى قوله على لسان طاهر بن الحسين :

فى جنة الخلـــد طـــاب النعيم للأتقياءِ

ظهورهم فى ثيابٍ من سندس خضراءِ [٣]

بقوله جل فى علاه : ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ ﴾ [٤] .

وهكذا يبدو ولع الشاعر بالاقتباس القرآنى والتأثر بأسلوب القرآن الكريم .

• **الأوزان والموسيقا** :

نظم (عامر) هذه المسرحية على عشرة بحور شعرية هى الرمل ، والرجز ، والمتقارب ، والوافر ، والكامل ، والطويل ، والخفيف ، والبسيط ، والمنسرح ، والمجتث .

وقد استخدم هذه البحور استخدامًا غير منتظم ، حيث لم يعتمد فى استخدامها على ضابط أو قاعدة ، وقد أكثر من بعضها كالكامل والبسيط والطويل ، ولم يكثر من بحور أخرى كالرجز ، والمنسرح والمجتث .

---

(١) الديوان ٢ / ١٨٧ .

(٢) الآية الأولى من سورة الواقعة .

(٣) الديوان ٢ / ١٩٠ .

(٤) من الآية (٢١) – سورة الإنسان .

وهو يستخدم التام من هذه البحور فى أكثر الأحيان ، ويستخدم مجزوء بعضها أحيانًا كمجزوء الرمل ، والرجز ، والمنسرح والمجتث . كما استخدم مشطور الرجز قليلاً .

وعادة ما يستخدم الشاعر بحرًا واحدًا فى الحوار الذى يجريه على لسان شخص ما من شخوص المسرحية ، ونادرًا ما يستخدم أكثر من بحر كما فى الحوار التالى الذى نسبه إلى ابن المهدى :

نســـــــى العبـــــــد بابـــــــه ∴ مـــــا الـــــذى قـــــد أصـــــابه ؟

ذاك مفتاحـــــــــه ، تـــــــــرى ∴ زال مـــــــا كـــــــان رابـــــــه ؟

نفعـــــــــــتنى هنيهـــــــــــة ∴ أفقدتـــــــــــه صـــــــــــوابه

لا بعـــــــد عنـــــــه ولا نجـــــــاءْ ∴ هـــــذا هـــــو الملعـــــون جـــــاء [١]

حيث جاءت الأبيات الثلاثة على وزن مجزوء الخفيف ، والرابع على وزن مجزوء الكامل .

واستخدم الشاعر من حروف القافية : الهمزة ، والباء ، والتاء ، والدال ، والراء ، والسين ، والشين ، والعين ، والفاء ، والقاف ، واللام ، والميم ، والنون ، والألف .

وقد استخدم قافية الباء ، واللام ، والميم ، والنون أكثر من غيرها .

وعادة ما يشتمل الحوار على قافية واحدة ، ونادرًا ما يحتوى على أكثر من قافية كما فى هذا الحوار الذى نسبه الشاعر إلى المأمون :المأمون :

---

(١) الديوان ٢ / ١٩٩ .

أمُّ ، شـــــــكرًا لزمـــــــانٍ صـــــــالحٍ
جمـــــــعَ الأهـــــــلَ ووافى بـــــــالعروسْ
قـــــد تلاقينـــــا علـــــى صـــــرف الهـــــوى
والتصـــــافى بعـــــد كيـــــدٍ وخصـــــامْ
ورضـــــــينا بقضـــــــاء عـــــــادل
فنعمنـــــــا بـــــــودادٍ ، وســـــــلامْ
ســـــر بنـــــا يـــــا عـــــمّ ، هيـــــا سِـــــرْ بنـــــا
فلـــــئن كـــــان مـــــن الصـــــفو مزيـــــدْ
فســـــــنحظى بـــــــك فى أسمارنـــــــا
صـــــحبة الإمتـــــاع والعهـــــد الجديـــــدْ [١]

حيث جمع الشاعر فى الحوار بين قوافى السين والميم والدال .

كما استخدم الشاعر فى المسرحية ألوانًا من الموسيقا الداخلية كالجناس فى قوله على لسان أبى الصقر :

الـــــبرد ، مـــــولاى ، هـــــاك بُـــــردى
ومـــــا الـــــذى تنفـــــع البُـــــرودُ ؟ [٢]

حيث جانس بين " البَرد " و " البُرد " .

ومثله قوله على لسان المأمون :

---

(١) الديوان ٢ / ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٢) الديوان ٢ / ١٧٥ .

أردت لـــــــــه الشـــــــــآم قصـــــــــى دار

فســـــــــار إلىَّ فى حـــــــــول وطَـــــــــولِ [١]

حيث جانس بين " حول " و " طول " .

ومن ذلك الطباق كما فى قوله على لسان أبى نواس :

أراك وهمـــــــــتَ يـــــــــا مـــــــــولاى ، إنى

لأروى الصـــــــدق نُـــــزِّه عـــــن كِـــــذَابِ [٢]

حيث طابق بين الصدق والكذاب بمعنى الكذب .

ومثله قوله على لسان طاهر :

قـــــــد عرفنـــــــا الفضـــــــل صـــــــعبًا

لم يكـــــــــــــن – والله – ســـــــــــــهلاً [٣]

حيث طابق بين " صعب " و " سهل " .

ومن هذه الألوان الموسيقية التى استخدمها (عامر) التكرار كما فى قوله على لسان أبى الصقر :

وقـــــالوا : أحـــــب اللـــــهو لا بـــــل مملـــــك

أحـــــب العـــــلا والمجـــــد حـــــرًّا مُسَـــــوَّدا

وقـــــالوا : غـــــواه الملـــــك ، هـــــل تعلمونـــــه

تنـــــازل للمـــــأمون أمـــــس وأشـــــهدا [٤]

---

(١) السابق ٢ / ١٨٠ .

(٢) السابق ٢ / ١٦١ .

(٣) السابق ٢ / ١٨٨ .

(٤) الديوان ٢ / ١٧٧ .

حيث كرر عبارة " قالوا " لتعديد أقاويل الناس على الخليفة الأمين ولزيادة عنصر الإيقاع .

ومثله تكرار عبارة " أصيخوا " فى قوله :

أصـــــيخوا ، أصـــــيخوا للحـــــديث بقيـــــة

أصـــــيخوا لقـــــولى جنـــــد بغـــــداد جيـــــدَا

حيث كررها لجذب الانتباه من ناحية ولتكثيف الموسيقا من ناحية أخرى .

وألوان الموسيقا الداخلية كثيرة شائعة فى أبيات المسرحية .

* * *

خـاتمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه . أما بعد :

فقد انتهيت بعون الله وتوفيقه من إعداد هذا البحث الذى تناول (مسرحية الأمين والمأمون للشاعر عامر بحيرى) وقد عرضت فيه للمسرحية بالعرض والتحليل ، ثم أوردت بعضًا من الملامح النقدية المتصلة بها .

وقد انتهت الدراسة إلى عدد من النتائج أذكر منها ما يلى :

- عالجت المسرحية أحداث الصراع بين الأمين والمأمون برؤية واعية ، مع الالتزام بالواقع التاريخى .
- أجاد الشاعر فى رسم ملامح الشخصيات التى تضمنتها المسرحية .
- لم يلجأ (عامر) فى المسرحية إلى الإغراب فى الخيال أو تكثيف الصور .
- لجأ الشاعر إلى أسلوب الإقناع والتأثير فى عرض الأفكار .
- اهتم (عامر) اهتمامًا كبيرًا بعنصر الحوار .
- عنى الشاعر عناية كبيرة بلغة المسرحية وأسلوب صياغتها .
- بدا فى المسرحية تأثر صاحبها بأساليب القرآن الكريم .
- نظم (عامر) مسرحيته على بحور الشعر الخليلية ، والتزم تقفية أبياتها ، وأضاف إليها بعض عناصر الإيقاع الداخلى .

والحمد لله أولاً وأخراً .

* * *

أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم (تبارك من أنزله) .
- الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى – شرح / عبد أ . مهنا ، وسمير جابر – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- تاريخ بغداد أو مدينة السلام للخطيب البغدادى – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .
- تاريخ الخلفاء للسيوطى – طبعة القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- تاريخ أبى الفداء المسمى المختصر فى أخبار البشر – تأليف / عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب – تعليق / محمود ديّوب – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- ديوان عامر (عامر محمد بحيرى) – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ م .
- ديوان عامر (الجزء الثانى : ملاحم ومسرحيات) – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م .
- مجمع الأمثال للميدانى – تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم – طبعة دار الجيل – بيروت – لبنان – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى – المطبعة البهية ١٣٤٦ هـ .
- موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية – للدكتور / أحمد شلبى – الجزء الثالث (الخلافة العباسية) – مكتبة النهضة بالقاهرة ١٩٩٦ م .
- جريدة الجمهورية – العدد الصادر فى ٢٥ يوليه ١٩٧٦ م .
- شبكة المعلومات الدولية – موقع :

www.albabtainprize.org